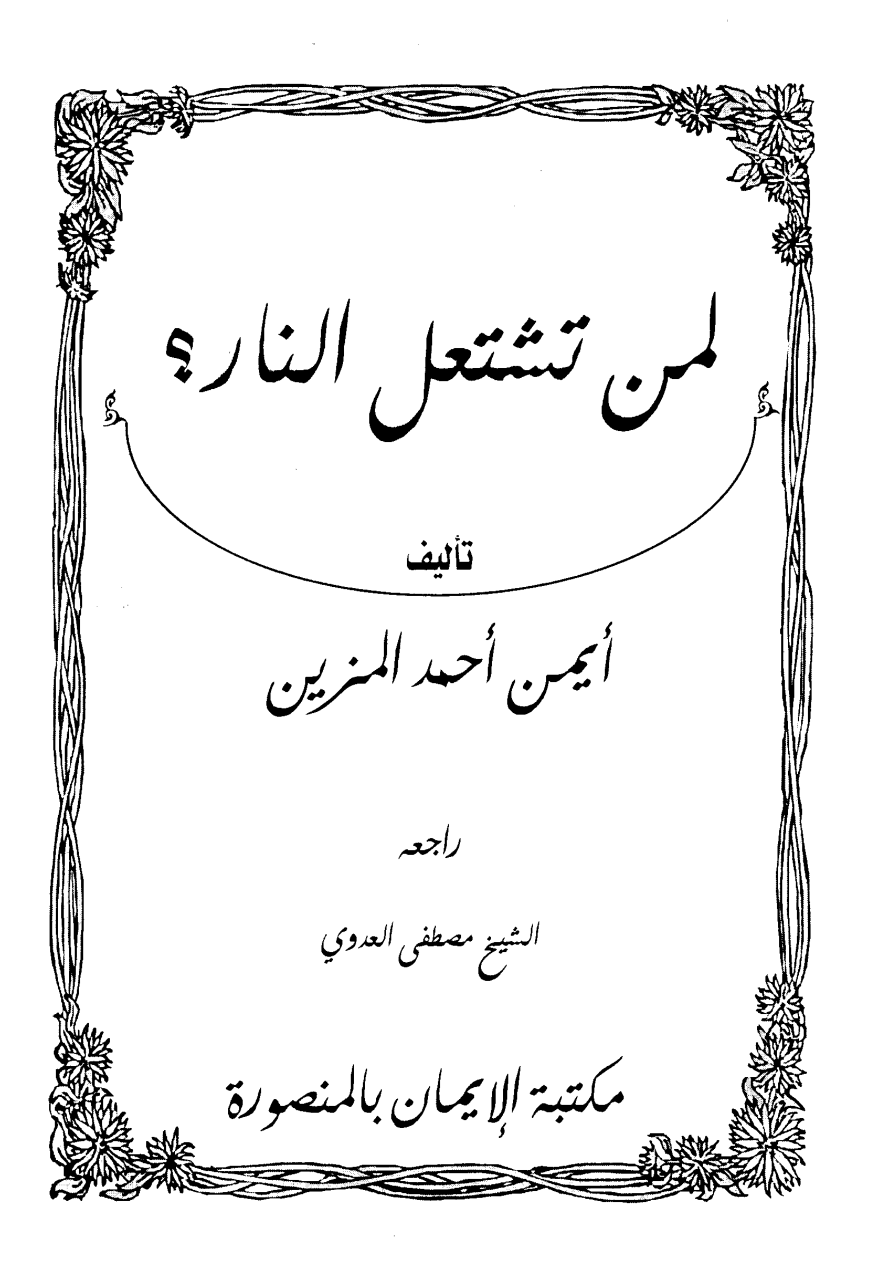


لمن تشتعل النار؟

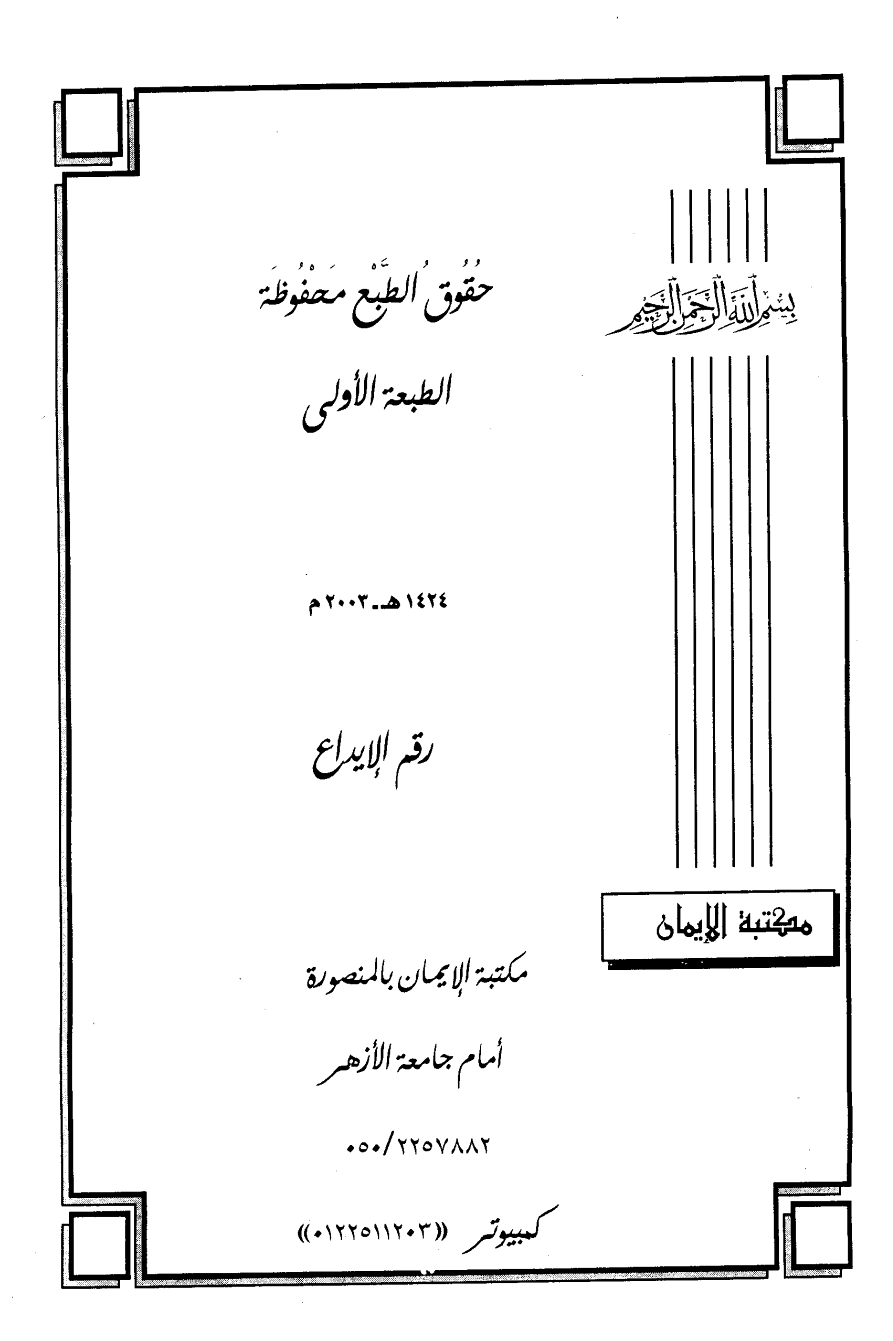
تأليف

أيمن أحمد المزين

راجعه

الشيخ مصطفى العدوي

مكتبة الإيمان بالمنصورة



الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

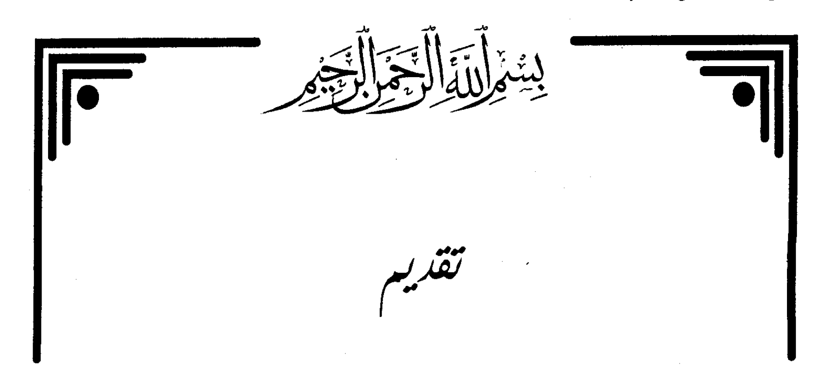
رقم الإيداع

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

٠٥٠/٢٢٥٧٨٨٢

كمبيوتر ((٠١٢٢٥١١٢٠٣))



تقديم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فقد راجعت الأحاديث المثبتة في هذه الرسالة، وأحكام أخي أيمن عليها ونقولاته لتصحيحات العلماء، فألفيت ذلك موفقًا في الجملة.

فالله أسأل أن يبارك في عمله، وسعيه، وأن يوفقه لمواصلة طلب العلم الشرعي مبتغيًا بذلك وجه الله (عز وجل).

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى صحبه وسلم.

كتبه أبو عبد الله/

مصطفى بن العدوي

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

● إلى جبريل الملك الذي حمل الرسالة من الله إلى رسول الله أهدي هذا الكتاب.

● إلى رسول الإنسانية الأعظم وقائد البشرية الكريم محمد رسول الله (ﷺ) الذي أخرج الناس من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والإيمان والعلم.. أهدي هذا الكتاب.

● إلى من ربياني صغيراً وجعلاني رجلاً أتحمل المسؤولية غفر الله لهما ورحمهما كما ربياني صغيراً..

أهدي هذا الكتاب.

● أهدي هذا الكتاب إلى كل موحد شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وعمل بمقتضى هذه الكلمة.

● أهدي هذا الكتاب إلى أختي الفاضلة حنان، وأسأل الله أن يرزقها خَلَفًا صالحًا يكون سببًا لها في الولوج إلى الجنة.

وصلي اللهم وسلم وبارك على النبي محمد (ﷺ).

تمهيد

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم عبد الله ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢]. ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١]. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

إن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد بن عبد الله (ﷺ)، وشر الأمور محدثاتها، وكُل مُحدثة بدعةٍ، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

اعلموا أيها الأخوة المؤمنون، أنكم يومًا ما ستقفون بين يدي مالك الملك والملكوت، وسيحاسبكم على أعمالكم؛ سواء أكانت تميل إلى خيرٍ فعلتموه، أو إلى شر ارتكبتموه؛ ولكي نستعد لهذا اليوم، وننجو من شره وهو القذف في نار جهنم، فإني تطرقت للحديث عن هذا الموضوع «لمن تشتعل النار؟»، لعل القلوب تلين من بعد قسوةٍ وغلظة، وتذوق حلاوة الإيمان.

وما قصدت بهذا الكتاب أن أضع اليأس في قلوب القراء، كلا، وإنما الهدف من هذا العنوان والغرض منه: أن يصل القارئ إلى حقيقة الخوف من الله، والرجاء فيه، والتقرب إليه، ومعرفة هؤلاء الذين يستحقون النار، وأن نجتهد في العبادة، حتى لا نكون منهم، فنحرم حب الله ورضوانه.

وقبل أن نبدأ إن شاء الله في هذا الكتاب يجب أن ننبه أن الناس قسمان:

مؤمن وكافر؛ فالكافر مخلد في النار، والمؤمنون قسمان: طائع وعاص؛ فالطائع ناج إن شاء الله (تعالى)، والعصاة قسمان: تائب وغير تائب، ومعنى تائب مات على ذلك وكذا غير التائب، فالتائب ناج إن شاء الله (تعالى)، وغير التائب أمره مفوض لله (عز وجل)؛ إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه.

فعدم التوبة مخاطرة وتوصل لغضب الله (عز وجل).

ولقد كان هذا الكتاب يقع في ٢١٢ صفحة، فطلبت مني مكتبة الإيمان بالمنصورة اختصاره حتى يسهل على القارئ الكريم تناوله وحتى لا تسبب إطالته الملل فقمت مستعينًا بالله وحده على اختصار الكتاب إلى أن وصل إلى هذا الحد كما هو بين يديك والله أسأل أن يجعل هذا العمل لابتغاء وجهه وأن يتقبله عنده وأن يجعله في ميزان الحسنات إن ربي سميع الدعاء واسع العطاء.

أسأل الله أن ينفعنا وإياكم بهذا الكتاب، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم، وأن يرحمنا أحياءً وأمواتًا، وأن يدخلنا جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ونعم أجر العاملين، والله حسبنا ونعم الوكيل.

وأسأل الله أن يغفر لي ما أخطأت وأن يجزيني وإياكم خيرًا على ما أصبت.

المؤلف

أيمن أحمد المزين

تشتعل النار لإبليس وجنوده وأوليائه

لأنه أول من وضع قواعد المعصية في الأرض فهو أول من تشتعل له النار وهو إمام كل معصية، ورائد كل كبيرة وزعيم كل شيطان صار بأكمل أوجه الفساد والطغيان.

ولما كان ذلك من شأنه، استحق دخول النيران هو ومن اتبعه قال (تعالى): ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٤، ٨٥].

أسماء الشيطان كما وردت في القرآن الكريم:

- الشيطان: قال (تعالى): ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

- إبليس: قال (تعالى): ﴿فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وقال (تعالى): ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠].

- الجن: قال (تعالى): ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠].

اعرف عدوك

الإسم: إبليس، البلدة: قلوب الغافلين، المكان الدائم: جهنم وبئس المصير، درجة فسقه: فاسق من الدرجة الأولى، الأماكن الموجود فيها: التي لا يذكر فيها اسم الله (تعالى).

مم يهرب: عندما يسمع صوت الآذان

طريقه: عوجًا، مجلسه: الأسواق، أعداء الرحلة: المسلمون، دليله السراب، زوجات الدنيا: الكاسيات العاريات

يحب من: الغافلين عن ذكر الله، يزعجه: الاستغفار

بيته الخلاء والحمام، بداية ظهوره للعداء يوم أن رفض السجود لآدم (عليه السلام).

زملاؤه: الكفار والمنافقون وكل العصاة

مصدر رزق الشيطان: المال الحرام

الأماكن التي يسكنها: الأماكن النجسة ومحال المعاصي

عمله: السحر، أوامره: يأمر بالفحشاء والمنكر ويرغب فيه

ديانته: الكفر، وظيفته: إضلال المسلمين وإبعادهم عن طريق الحق

نهايته: يوم الوقت المعلوم، مدة خدمته: إلى يوم الوقت المعلوم

الربح العائد من طريق الشيطان: هباءً منثورًا

رفقاء الرحلة: شياطين الجن والإنس

الأسلحة التي يستعملها لتدمير الناس: الكفر، الشرك بالله، عقوق الوالدين، إلقاء العداوة بين الناس، الزنا، النميمة، الغيبة، الكذب، الخوض في الباطل، المعاصي . . إلخ

قرآنه: الشعر، كتابه: الوشم، أكلته المفضلة: لحم الأموات (الغيبة والنميمة)

مصائده: الشيطان، يخاف ممن: المؤمن التقي

يكره من: الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات

هوايته: الغواية والضلالة، أمنياته: الكفر (أن يكفر الناس جميعًا)

يحب من: القساوسة هؤلاء الضالين المضلين (أعوان الشيطان)

ولقد سأل أحد الصالحين (نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله) أحد الجان عن

القسيسين، فذكر له الجني: أنهم مشركون وعلى باطل أيضًا

حديثه: الكذب، عمله: السحر

بم يعد: يعدكم الفقر، ويعدكم بالغرور قال (تعالى): ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال (تعالى): ﴿**وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلاَّ غُرُورًا**﴾ [الإسراء: ٦٤].

ما يضحكه: كثرة التثاؤب لقوله (ﷺ): «**التثاؤب من الشيطان فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع فإن أحدكم إذا قال (ها) ضحك الشيطان**» [البخاري ومسلم].

وما يبكيه: كثرة السجود، وفي الحديث: «**أن الشيطان إذا رأى الإنسان ساجدًا لله اعتزل يبكي ويقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد وأمرت بالسجود فعصيت**» [رواه مسلم] (في كتاب الإيمان).

إبليس لم يكن من الملائكة طرفة عين:

ويبدو وهذا واضحًا لدى كل من تدبر آيات الكتاب العزيز قال (تعالى): ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ [الكهف: ٥٠].

وقال (تعالى): ﴿**وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ**﴾ [الحجر: ٢٧].

وقول النبي (ﷺ): «**خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم**» [رواه مسلم].

ثم إن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون، والجن يأكلون ويشربون ويتوالدون كما هو ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة.

والملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

وها هو إبليس قد عصى وقد أوضح أنه من الجن وليس من الملائكة.

لماذا لعن الله إبليس؟

لأنه رفض السجود لآدم استعلاءً واستكبارًا وكفرًا وعنادًا وافتخارًا بالباطل، حيث ظن أنه أفضل من آدم، لأنه خلق ناري وآدم خلق من طين، قال: ﴿**أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾ [الأعراف: ١٢].

ومما دل على حسده وكبره، قوله (تعالى): ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلاَّ تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُن لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الحجر: ٣٢ ـ ٣٥].

ويقول ابن القيم (رحمه الله تعالى):

ولما خلق الله آدم، وأمر الملائكة أن يسجدوا له، سجدوا إلا إبليس والسبب في رفض السجود أنه أبى واستكبر، تكبر أن يسجد لما خلق الله بيده، رغم أن الله العظيم لم يتكبر أن يخلق بشرًا بيده فاستعظم إبليس المخلوق الناري، وادعى أنه أفضل من آدم رغم أن آدم أفضل منه بكثير فالطين ينبت الأخضر، والنار تحرق وتدمر وتخرب، فاستعظم اللعين أن يسجد لآدم وكان ترك السجود لآدم تسفيهًا لأمر الله له. فكانت أول معصية ارتكبها إبليس هي: الحسد لآدم، والكبر، فلما عصى إبليس أمر الله، صار يبطش في الأرض بعد طرده، ووسوس لآدم وحواء، حتى أخرجهما من الجنة، وحرض قابيل على قتل هابيل أخيه، وتصدى لكل نبي في دعوته إلى الله فتمثل لقوم نوح حتى عبدوه إلهًا، واتخذوا الأصنام آلهة من دون الله، وأراد أن يغوي إسماعيل حتى لا يستجيب لأمر أبيه في الذبح، ولكنه باء بالفشل، وترصد لكل بني آدم، وذلك لقسم أقسم به لله قبل ذلك، قال: ﴿**فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [ص: ٨٢. ٨٣].

مكائد إبليس بأهل الايمان:

١ ـ قذف الخوف في قلوب أهل الإيمان

٢ ـ إضلال العقل

٣ ـ الوسوسة ـ التخليط في فهم الدين ـ قذف الحسد في قلوب الناس ـ قذف الغرور في قلوب الناس ـ إبعاد الناس عن السنة ـ إرسال جنوده لفتنة الناس ـ التفريق بين المرء وزوجه ـ بث الكذب بين الناس.

كيف الخلاص من الشيطان؟

الخلاص من الشيطان يتحقق بذكر الله (عز وجل) فذكر الله سلاحٌ يفتك به ويبعده عن الإنسان. قال النبي (ﷺ) : «**إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء**» [رواه مسلم]. والشيطان يفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة، وكذلك آية الكرسي من قرأها في ليلة لا يقربه الشيطان حتى يصبح، وكذلك من قال هذا الذكر كان حرزًا له من الشيطان: عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير. في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك**» [رواه البخاري ومسلم].

فيا أيها المسلم: اعلم أن هذه المكائد الإبليسية هي ورب الكعبة أوهن من بيت العنكبوت إذا جمعت أمرك على طاعة مولاك وذكره، وخلعت طاعة الشيطان من قلبك وعقلك ونفسك واتقيت الله في سرك وعلنك، وأنى للشيطان أن يتمكن ممن كان الله معه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ**﴾ [النحل: ١٢٨].

فعليك أخي المسلم أن تضيق عليه الخناق، فلا تجعله يصرفك عن طاعة مولاك أو يجرك إلى معصية فيها هلاكك أو حتى صغيرة لأن الصغيرة مع الصغيرة تصير كبيرة. ﴿ **وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ** ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨].

تشتعل النار لليهود

إنهم عباد المال والذهب، المتاجرون بالدين والقيم والأخلاق، قتلة الأنبياء والصالحين، الغالين في دين الله، المفترين كذبًا على الله.

واليهودي: هو المنتسب إلى شريعة موسى (عليه السلام) وسموا بذلك من قوله ﴿إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. أ أي: رجعنا أو لأن جدهم يهوذا بن يعقوب فتكون النسبة من أجل النسب، ومن الأول تكون النسبة من أجل العمل، ولا يبعد أن تكون من الإثنين جميعًا. [القول المفيد لابن عثيمين (٢/ ١٢١)].

من هم اليهود؟

واليهود من نسل الأسباط الإثنى عشر إخوة يوسف (عليه السلام) أبناء يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام فهم ينسبون إلى يعقوب الذي هو إسرائيل وقد ذكر القرآن الكريم هذا النسب في مواضع كثيرة منها قوله (تعالى): ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [البقرة: ٤٧].

ولكن لماذا لعن الله اليهود؟

الأسباب كثيرة تلك التي من أجلها لعن الله اليهودَ فمثلاً:

١- قالوا الحق ثم ردوه:

قال (تعالى): ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٨٩].

٢- زعموا أن يد الله مغلولة:

قال (تعالى): ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣ ـ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه:

قال (تعالى): ﴿ **لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

٤ ـ الغلو في الدين والأنبياء:

حيث زعموا أن عزيرًا ابن الله وكان ذلك سبب كفرهم وطردهم من رحمة الله، قال (تعالى): ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾ [المائدة: ٧٧]. فهؤلاء اليهود زادوا في مدح الأنبياء، حتى رفعوهم إلى مرتبة لا تكون إلا لله، إنهم شددوا وتشددوا في غير ما هو حق، وتغالوا فاستحقوا مقت الله، وهكذا كل من حزا حزوهم، ونهج نهجهم، وها نحن نسمع عمن يقطعون المسافات الطويلة إلى السيد البدوي، وإلى الحسين وإلى عقيل بمركز سمنود غربية يطلبونهم ويتمسحون في قبورهم، ويطلبون دعاءهم، فيخشى عليهم أن ينالوا مثل ما نال اليهود. من مقت ربهم عليهم ولعنهم، وتسبيب كل هذا الذي أحدثوه من معاص. نسأل الله العافية والسلامة

عاقبة من لعنه الله من اليهود:

كان جزاء اليهود حين أحدثوا أسباب لعن الله لهم أن:

١ ـ طردوا من رحمة الله، وحرموا من طيبات أحلت لهم. قال (تعالى): ﴿ **فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا** ﴾ [النساء: ١٦٠].

٢ ـ ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا.

٣ ـ الحرمان من نصر الله:

قال (تعالى): ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

وقال (تعالى): ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب: ٢٥].

٤ - طبع الله على قلوبهم.

٥ - مسخهم قردة وخنازير قال (تعالى): ﴿ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ ﴾ [المائدة: ٦٠].

وقوله (تعالى): ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ [البقرة: ٦٥].

٦ - دوام غضب الله ولعنته:

قال (تعالى): ﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ البقرة: ٦١].

٧ - نزول العذاب عليهم:

قال (تعالى): ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [البقرة: ٥٨، ٥٩].

وهذه عاقبة كل من لعنه الله.

٨ - المكث والخلود والتأبيد في النار:

قال (تعالى): ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

فكل من كفر بالله ولم يسلم لله رب العالمين ويؤمن بالنبي محمد عليه الصلاة

والسلام فهو في النار، واليهود كفروا بالله وأكثروا من السيئات وغمرتهم ذنوبهم وآثامهم وخطاياهم، وغمرهم كفرهم بالله، ومن كان هذا حاله كان من الخالدين في النار، وتشتعل له النار.

بعض صفات اليهود حتى يحذرها كل عاقل:

١ ـ متخصصون وبارعون في الكذب على الله:

قال الله (تعالى): ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ** ﴾ [التوبة: ٣٠].

٢ ـ اليهود اتهموا الله بالبخل:

قال (تعالى): ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ** ﴾ [المائدة: ٦٤].

٣ ـ اليهود اتهموا الله بالفقر:

قال (تعالى): ﴿ **لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ** ﴾ [آل عمران: ١٨١].

٤ ـ اليهود متخصصون في قتل أنبياء الله وتكذيبهم:

قال (تعالى): ﴿ **وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلاً مَّا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة: ٨٨].

٥ ـ اليهود متخصصون في أكل الربا والسحت والحرام:

قال (تعالى): ﴿ **وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة: ٦٢].

٦ ـ اليهود متخصصون في نقض العهود والمواثيق ويسعون في الأرض فسادًا: قال (تعالى): ﴿ **أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة ١٠٠].

٧ ـ اليهود من أحرص الناس على الحياة:

قال (تعالى): ﴿ولَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٦].

٨ ـ اليهود متخصصون في كتمان الحق والتلبيس والتضليل:

قال (تعالى) ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

٩ ـ اليهود أجبن خلق الله ولو أظهروا لنا الشجاعة والوحدة والألفة:

قال (تعالى): ﴿لا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلاَّ فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾ [الحشر: ١٤].

فيا أيها الذين آمنوا: هؤلاء هم اليهود، وهذا مصيرهم، وتلك صفاتهم فاجتنبوها إن كنتم تريدون الفلاح والنجاة.



تشتعل النار للنصارى

أيها المسلمون: ابتداءً، وقبل الخوض في الحديث عن كيفية دخول النصارى النار، أود أن أمهد لذلك تمهيدًا موجزًا حتى يقف القارئ على حقيقة أمر النصارى، وكيف أنهم استحقوا النار والخلود فيها فأقول وبالله التوفيق:

إن الإسلام ولاشك هو دين جميع الأنبياء، فهو دين آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى (عليهم الصلاة والسلام)، وتدبر معي ما أقوله لك، حتى تخر بين يدي مولاك ساجدًا شاكرًا له هذه النعمة (نعمة الإسلام، والإيمان، والتوحيد).

إن نوحًا (عليه السلام) ما جاء إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول في قصة نوح حكاية عنه: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٤].

وما جاء الخليل إبراهيم (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].

وبعدها قال الله (تعالى): ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۞ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ ـ ١٣٢].

وما جاء يعقوب (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول حكاية عنه: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٣].

وما جاء نبي الله لوط (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول حكاية عنه: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

مَن طِين * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣١ ـ ٣٦].

وما جاء نبي الله يوسف (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول حكاية عنه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وما جاء نبي الله سليمان (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول حكاية عن ملكة سبأ: ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ * إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٢٩ ـ ٣١].

ويقول (تعالى) عن بلقيس: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

وما جاء الكليم (عليه السلام) إلا بالإسلام، الله (تعالى) يقول حكاية عنه: ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

ولقد جاء كلمة الله، وعبده، ورسوله عيسى ابن مريم (عليه السلام) إلا بالإسلام، أنصت معي إلى هذا القول الإلهي القرآني، يقول (تعالى): ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢].

حتى عيسى (عليه السلام) جاء بدين الإسلام، وكان دينه الإسلام بل إنه في آخر الزمان سيصلي وراء إمام المسلمين، فلا حاجة لمن يزعمون أنهم أتباع له، ولو صدقوا لكانوا على دينه.

ـ ولقد جاء مبعوث العناية وشمس الهداية الربانية محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وسلم) ـ بالإسلام، الله (تعالى) يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهل تعلم أن دين الإسلام هو دين مؤمني الجن، اسمع ماذا يقول رب العزة، حكاية عن الجن:

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

فما من نبي ظهر على وجه الأرض، إلا وقد بعثه الله (تعالى) بدين الإسلام، واسمع معي إلى هذا الخطاب الجليل الموجه من الله العلي الكبير إلى النبي المصطفى الكريم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

بل إن الطفل يولد على الفطرة (الإسلام) حتى ولو ولد من أبوين كافرين مشركين، أو يهوديين، ونصرانيين، ومجوسيين، بدايته تكون الإسلام، ثم يتحكم أبويه في تحويله على حسب ملتهما، التي هم عليها، من حديث أبي هريرة أن النبي (ﷺ) قال: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه**» [رواه البخاري ومسلم]. فالإسلام حقيقة كبرى لا خيال فمن قلد غيره ظلم نفسه وزج بها إلى غياهب الجحيم. ومن علم ببعثة رسول الله (ﷺ)، ثم ولى ظهره من هذه الأمة، سواء أكان يهوديًا أو نصرانيًا، ولم يؤمن به (ﷺ) إلا وكان من أهل النار. روى مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال: «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي أو نصراني، ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**» [رواه مسلم في الإيمان/ ٢٤٠]. وإذا كان الإسلام هو دين جميع الأنبياء فمعنى هذا أن من كفر بواحدٍ منهم فإنما كفر بجميع إخوانه من النبيين والمرسلين.

- ومن آمن بنبي الله عيسى وكفر بمحمد (ﷺ) فقد كفر بنبي الله عيسى قبل أن يكفر بالحبيب محمد (ﷺ). لأن الأنبياء كلهم إخوة ودينهم واحد.

عقيدة النصارى في المسيح وبيان بطلانها ودحضها

إنهم يعتقدون أن المسيح ابن مريم ابن إله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قربانًا،

ويصلب تكفيرًا عن خطيئـة البشر، فموته كان تضحية، مـثل سائر الضحايا القديمة من الآلهة في أيام الحضارات البدائية من أجل خلاص البشرية.

يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى):

ولم يقنعهم هـذا القول في رب السمـاوات والأرض، حتى اتفقـوا بأسرهم على أن اليهود أخذوه وساقوه بينهم ذليلاً مقـهورًا، وهو يحمل خشبته التي صلبوه عليها، واليـهود يبصقون في وجـهه، ويضربونه، ثم صلبوه بالحـربة، حتى مات، وتركوه مصلوبًا، حـتى التصق شعره بجلده لما يبس دمـه بحرارة الشمس، ثم دفن وأقام تحت التراب ثلاثة أيام، ثم قام بلا هويته من قبره.

هذا قول جميعهم ليس فيهم من ينكر منه شيئًا.

فيا للعقول!

كيف حال هذا العالم الأعلى والأسفل في هذه الأيام الثلاثة؟

ومن كان يدبر أمر السمـوات والأرض؟

ومن الذي خلف الرب (سبحانه وتعالى) في هذه المدة؟

ومن الذي كان يمسك السماء أن تقع على الأرض وهو مدفون في قبره؟

ويا عجبًا!

هل دفنت الكلمة معـه، بعد أن قتلت وصلبت؟ أم فارقته وخـذلته أحوج ما كان إلى نصرها له، كما خذله أبوه وقومه؟

فإن كانت قد فارقته وتجرد منهـا، فليس هو حينئذ المسيح وإنما هو كغيره من آحاد الناس، وكيف يصح مفارقتهـا له بعد أن اتحدت به وما زجت لحمه ودمه لله، وأين ذهب الاتحاد والامتزاج؟ وإن كانت لم تفـارقه، وقتلت وصلبت ودفنت معه، فكيف وصل المخلوق إلى قتل الإله، وصلبه ودفنه؟

ويا عجـبًا! أي قـبرٍ يسع إله السـموات والأرض؟ هذا وهو (الملـك القدوس

السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون) [إغاثة اللهفان: صـ ٦٢٢].

ورحمه الله من قال:

أعباد المسيح لنا سؤال ∴	نريد جوابه ممن وعاه
إذا مات الإله بصنع قوم ∴	أماتوه فهل هذا إله
ويا عجبًا لقبر ضم ربًا ∴	وأعجب منه بطن قد حواه
أقام هناك تسعًا من شهور ∴	لدى الظلمات من حيض غذاه
وشق الفرج مولودًا صغيرًا ∴	فاتحًا للثدي فاه
ويأكل ثم يشرب ثم يأتي ∴	بلازم ذاك هل هذا إله
تعالى الله عن إفك النصارى ∴	سيسأل كلهم عم افتراه

عقيدة الموحدين في المسيح ابن مريم

عقيدة الموحدين في عيسى (عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام) أنه عبد ورسول وكلمة الله التي ألقاها إلى مريم، وروح منه، الله (تعالى) يقول: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥].

وقال (تعالى): ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

وقال (تعالى): ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ

﴿الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٦ ـ ١١٨].

فكل هذه الآيات وغيرها كثير تدل دلالة واحدة على أن عيسى عبد الله ورسوله، ولم يكن يومًا ما من الدهر إلـهًا ولا ابن إلـه، ولا ثالث ثلاثة كما ادعت اليهود والنصارى، (تعالى) الله عن قولهم وإفكهم وافترائهم علوًا كبيرًا، فمن اعترف بوحدانية الله، وشهد بذلك، واعترف برسالة محمد بن عبد الله (ﷺ) وشهد بها، واعترف بأن عيسى عبد لله ورسول وكلمة الله التي ألقاها إلى العذراء البتول مريم (عليها السلام)، وروح من الله أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء، روى البخاري ومسلم من حديث عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة من أي أبوابها الثمانية شاء**».

عقيدة المسلمين في مسألة صلب المسيح ابن مريم (عليه السلام)

نحن نعتقد اعتقادًا جازمًا لا ريب فيه أن عيسى (ﷺ) لم يصلب، ولم يقتل، بل رفعه الله إليه، وينزل من السماء في آخر الزمان عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، كما أخبر بذلك المعصوم (ﷺ)، وذلك يكون قبل قيام الساعة، وروى البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (ﷺ): «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم عيسى ابن مريم حكمًا عادلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها**».

ماذا تعرف عن عقيدة التثليث ومتى بدأت؟

بدأت عقيدة التثليث في الألوهية منذ زمن بعيد جدًا قبل المسيحية (البولسية) ـ منسوبة إلى بولس وهو رجل يهودي وكان فيلسوفًا نقل أفكار الفلسفة المثلثة إلى المسيحية مستغلاً الظروف التي هيأت له ذلك في أواخر العقد الرابع بعد المسيح (عليه السلام) ـ ولا يظن أحد أن عقيدة التثليث ـ أي قولهم الله ثالث ثلاثة (الأب والابن

والروح القدس) ـ بدأت عند المسيحين، فلقد سبقوا بها من قديم لقد كانت هناك ثقافات مصرية، وآشورية، وبابلية وفارسية وهندية، ويونانية أثرت كلها في محيط العقيدة الشاولية أو المسيحية البوليسة، وكانت الفكرة الأولى للتثليث ترجع إلى عبادة الجماهير للأبطال فالبطل الذي يقوم بأعمال رائعة يتخذه الناس إلهًا يُعبد، فإذا اتخذ البطل زوجًا له حلت معه في الألوهية، وسجدت لهم الجماهير، وإذا شاخ البطل، وعجز عن أعمال البطولة لجأ إلى أحد أبنائه ليربي فيه الشجاعة، والجرأة فيتولى مكانه في الحكم، ويطلق عليه ولي العهد، ويدخل حظيرة الألوهية، فيعبد مع أبيه وأمه.

وهكذا تمت عبادة الثالوث، ويسير الثالوث بعد ذلك غير مقيد بفكرة البطولة، ليصبح معبودًا لدى كثير من المجتمعات وإذا رجعنا إلى الألف الرابع قبل الميلاد، وجدنا البابليين هم زول من قالوا بالثالوث، وتعدد الآلهة وهكذا كان التثليث قبل وبعد المسيحية فلا عجب بعد ذلك أن يتسرب هذا التثليث إلى المسيحية، (المصدر تاريخ الفلسفة د/ مدكور ص٦ نقلاً عن دراسة مقارنة بين المسيحية والإسلام تأليف د/ أبو المجد السيد يوسف نوفل).

وهذه الأمة الظالمة قد سبت ربها عندما زعمت أن له ولد قال (سبحانه): **«شتمني ابن آدم، وما ينبغي له ذلك، وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك، أما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد، وأما تكذيبه إياي، فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته»** [البخاري].

وقال عمر بن الخطاب في هذه الأمة: أهينوهم ولا تظلموهم، فلقد سبوا الله (عز وجل) مسبة ما سبه إياها أحد من البشر.

وأخيراً: النصارى في نار جهنم خالدين فيها:

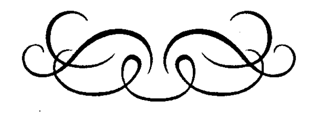
أحبتي في الله وبعد هذا العرض السريع لكل ما ذكر بصدد بحثنا هذا أستطيع

أن أقول (تشتعل النـار للنصارى يوم القيامة) لأنهم كفـروا بالله، وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانًا، وجعلوا عـيسى ابن مريم الذي هو عبدٌ لله ورسـول جعلوه إلهًا، ومنهم من جعله ابن إله وقد كذبوا، وخسروا، وخسـئوا، وكفروا واستحقوا الخلود الأبدي في النار، فالله (تعالى) يقول: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ**﴾ [البينة: ٦].

وعن أبي موسى الأشـعري (رضي الله عنه) قال: قـال رسول الله (ﷺ): «**يجمع الله (عز وجل) الأمم في صعـيد يوم القيامة فإذا بدا الله (عـزوجل) أن يصدع بين خلقه مثل لكل قومٍ ما كانوا يعـبدونه، فيتبعونهم حتى يقـحمونهم النار، ثم يأتينا ربنا (عز وجل) ونحن على مكان رفـيع، فيقـول من أنتم؟ فنقول نحن المسلمـون فيقـول: ما تنتظرون؟ فيقولـون: ننتظر ربنا (عز وجل)، قال: فيقول وهل تعـرفونه إن رأيتموه؟ فيـقولون: نعم إنه لا عدل له، فيـتجلى لنا ضاحكًا، فـيقول: أبشروا أيهـا المسلمون، فـإنه ليس منكم أحـد إلا جعلت مكـانه في النار يهـوديًا ونصرانيًـا**» [رواه أحمـد: ٤٠٧١٤، ومسند عبد بن حميد (١/ ١٩١) إسناده حسن].

وعن أبي موسى الأشـعري (رضي الله عنه) قال: قـال رسول الله (ﷺ): «**ما من مؤمـن يوم القيـامة إلا يأتي بيـهودي أو نصـراني يقول: هذا فـدائي من النار**» [رواه أحمـد (٤٠٧١٤)]، وقال الهـيثـمي في المجمع (٢٦٥١٧): رجـال أحمـد رجال الصحـيح، والحديث رواه ابن المبارك في الزهد ص ٣٤٨ رقم ٩٨٠ وفي صـحيح مسلم: «**لا يموت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديًا أو نصرانيًا**»

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن النبي (ﷺ) قال: «**والذي نفسي بيـده لا يسمع بي أحد من هذه الأمـة يهودي أو نصراني، ولم يؤمـن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار**».



تشتعل النار لأبرهة أبي يكسوم

الذي أراد أن ينقض حجر الكعبة، حجرًا حجرًا فجعل الله جسده يسقط شيئًا شيئًا، حتى لقي مصرعه، وفي الآخرة عذاب عظيم.

وخلاصة القصة: ـ أيسر التفاسير للجزائري عند تفسير سورة الفيل ـ أن أبرهة الأشرم والي اليمن من قبل ملك الحبشة قد رأى أن يبني بيتًا في صنعاء اليمن يدعو العرب إلى حجه بدل حجهم البيت الحرام، والقصد من ذلك تحويل التجارة والمكاسب من مكة إلى اليمن، وعرض هذا على الملك الحبشي فوافق وسره ذلك، ولما بنى البيت (الكنيسة) وسماها القليس لم يبن مثلها في تاريخها، جاء رجل قريشي فتغوط فيها ولطخ جدرانها بالعذرة غضبًا منه، وذهب فلما رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال، استشاط غيظًا وجهز جيشًا لغزو مكة وهدم الكعبة وكان معه ثلاثة عشر فيلاً، ومن بينها فيل يدعى محمود وهو أكبرها وساروا ما وقف في وجههم حي من أحياء العرب إلا قاتلوه وهزموه حتى انتهوا إلى قرب مكة، وجرت سفارة بينهم وبين شيخ مكة عبد المطلب بن هاشم جد النبي (ﷺ) وانتهت المفاوضات بأن يرد أبرهة إبل عبد المطلب ثم هو وشأنه بالكعبة، وأمر رجال مكة أن يخلو البلد ويلتحقوا برؤوس الجبال بنسائهم وأطفالهم خشية المعرة ـ تلحقهم من الجيش الغازي والظالم، وما هي إلا أن تحرك جيش أبرهة، ووصل إلى وادي محسر وهو في وسط الوادي سائر، وإذا بفرق من الطير فرقة بعد أخرى ترسل على الجيش حجارة، الواحدة ما بين الحمصة والعدسة في الحجم وما تسقط الحجرة على رجل إلا ذاب وتناثر لحمه فهلكوا، وفر أبرهة، ولحمه يتناثر فهلك في الطريق، وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته، ومن ثمَّ ما زالت العرب تحترم الكعبة والحرم وسكانه إلى اليوم

قال (تعالى): ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ [الفيل: ١ ـ ٥].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾: أي ألم ينته إلى علمك فعل ربك بأصحاب الفيل.

﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: أي محمود وهي أكبرها ومعه اثنا عشر فيلاً وصاحبها أبرهة.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: أي في هدم الكعبة.

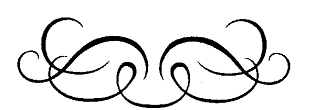
﴿فِي تَضْلِيلٍ﴾: أي في خسار وهلاك.

﴿ أَبَابِيلَ﴾: أي جماعات جماعات.

﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾: طين مطبوخ

﴿كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾: أي كورق زرع أكلته الدواب وداسته بأرجلها.

والحمد لله رب العالمين أن أهلك الظالمين: ﴿ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الأنعام: ٤٥].



تشتعل النار للكافرين

المنكرون لرب البشر العابدون للأصنام والحجر، وقبل أن أستطرد في الحديث عن الكفار وكيف استحقوا النار أبين ماهية الكفر:

ما هو الكفر؟ الكفر لغة: الستر والتغطية، ومنه: كفر الزراع البذر في الأرض: أي غطوه بالتراب، لينبت ولئلا يأكله الطير وفي القرآن الكريم قوله ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [الحديد: ٢٠].

والكفر المخلد صاحبه في النار والذي من أجله تشتعل النار، الكفر الأكبر وهو يبطل الإسلام وتندرج تحته هذه الصور:

١ ـ إنكار وجود الله (سبحانه وتعالى).

٢ ـ إنكار أسماء الله وصفاته أو الإلحاد فيها.

٣ ـ تكذيب الرب (سبحانه وتعالى) فيما أخبر به عن الغيبيات ونزول الوحي.

٤ ـ تكذيب رسول الله (ﷺ) بما جاء به من نبوة ورسالة.

٥ ـ التكذيب بالقرآن أو بحرف منه. ويشمل التكذيب بالكتب السابقة كالتوراة والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى فكل هذا من عند الله والتكذيب به كفر.

٦ ـ تكذيب المولى (عز وجل) فيما شرع من الشرائع كالعبادات والأحكام والآداب والأخلاق.

٧ ـ إنكار البعث والحساب، ومعاد الأجسام دون الأرواح كاعتقاد النصارى.

٨ ـ إنكار القدر.

٩ ـ إنكار وجود حد من حدود الله. كحد السرقة، والزنا، والقتل... إلخ.

١٠ ـ الإشراك بالله وذلك في ربوبيته باعتقاد خالق أو رازق أو مدبر للكون والحياة مع الله، أو في أسمائه، وصفاته، كأن يسمي إنسانًا: الله أو الرحمن أو الرب، وكأن يعتقد أن فلانًا يعلم الغيب أو أن الميت يسمع نداء الحي فيشفع له في قضاء حاجته (ولا يكفر جهال المسلمين بمثل هذا الشرك إلا بعد علمهم به فإن علموا أنه شرك واصروا على اتباعه أو حفاظًا على منافعهم المادية فإنهم يكفرون بهذا الشرك ولا شك) أو يتوسل بالميت لقضاء حاجته.

١١ ـ إنكار تكفير الكافر أو إشراك المشرك (كمن ينكر كفر اليهود والنصارى ويقول بإيمانه)

١٢ ـ تعلم السحر وتعاطيه.

١٣ ـ الاستهزاء أو الاستخفاف بالله وآياته ورسله وأوليائه الصالحين وما شرع الله (تعالى) ورسوله لعباده المؤمنين من الشرائع وغيرها اعلم أيها المسلم أن هذا الكفر لا يحكم لصاحبه بالنار والخلود فيها إلا بعد أن يموت على كفره، ولم يتب منه قبل موته فإن تاب قبل أن يحضره الموت قبلت توبته إن شاء الله.

١٤ ـ تكذيب ما جاء في القرآن والحديث.

١٥ ـ كفر الإباء والاستكبار مع التصديق، كفر إبليس.

١٦ ـ كفر الظن والشك بيوم القيامة أو إنكاره وعدم تصديقه.

١٧ ـ كفر الإعراض:

وهو أن يعرض الشخص عن مطلب شرعي من مطالب الإسلام غير مؤمن به.

١٨ ـ كفر النفاق وهو إظهار الإسلام باللسان وابطانه الكفران، فهذا الكفر الذي ذكرنا إن مات عليه صاحبه ولم يتب منه استحق الخلود الأبدي في النار، وهذا الكفر كان يسير عليه أئمة الكفر أمثال أبي جهل، وأبي لهب وغيرهم. نسأل الله العافية والسلامة.

بيان حال الكفار في النار

يقول (تعالى): ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٠]. وقال (تعالى): ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٢]. وقال (تعالى): ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤].

ومن السنة المطهرة:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**إن غلظ جلد الكافر إثنان وأربعون ذراعًا، وإن ضرسه مثل أحد، وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة**» [رواه الترمذي والحاكم وصححه الألباني].

ويقول الله (تعالى): ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤]. ويقول (تعالى): ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٦ ـ ٩].

هكذا إخوة الإيمان والإسلام جزاء الكافرين، بعدما رأينا هذه المشاهد الرهيبة التي كانت من حظ هؤلاء الكافرين، فهيا بنا إلى تقوى الله واستغفاره من كل خطيئة.

الآن عرفنا نهاية الكافر، الذي ظل طول حياته يشعل نار الفتنة بين المسلمين، عاش من أجل تدمير الإسلام والمسلمين، والآن نطرح سؤالا: هل يستحق الكافر النار وهل تشتعل له؟!

أمثلة لمن تشتعل بهم النار
قابيل أول مجرم في تاريخ البشرية

أول من سفك الدماء وقتل الأبرياء، ولم لا؟ وهو الذي أزهق روحًا ما كان له أن يزهقها، إنه الذي طمع في حق ليس له، ولم يرض بقسمة الله له، قتل أخاه ظلمًا وعدوانًا وحسدًا وبغيًا، فكانت العاقبة وخيمة والجزاء عظيمًا، وكانت النار موعده، وتبدأ القصة من هنا:

قال (تعالى): ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ * فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٧ ـ ٣٠].

قابيل كان أنانيًا، وكان يحب نفسه أكثر من اللازم، وكان يعمل حراثًا (يشتغل بالزراعة). وهابيل كان رجلاً خيرًا، طيبًا صالحًا، عابدًا لله، وكان يشتغل برعي الغنم. فلما كبر الأبناء في ظل أبويهما آدم وحواء، أمر الله آدم أن يزوج ابن البطن الأولى لبنت البطن الثانية، وبنت البطن الأولى لابن البطن الثانية، فكان نصيب قابيل في الدميمة، فوقع في قلبه الحسد والغل والشر لأخيه هابيل، وأبى عليه، وقال له: هي أختي ولدت معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحق أن أتزوج بها، فأمره أبوه أن يزوجها هابيل، فأبى فقربا قربانًا إلى الله أيهما أحق بالجارية، فتقبل الله قربان هابيل، ولم يتقبل قربان قابيل، وبعدها انبعثت شرور قابيل، وتوعد أخاه هابيل بالقتل، فقال له: لأقتلنك، ولكن هابيل أجابه قائلاً:

﴿ **لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: ٢٨].

قال ابن عباس: خوفه بالنار فلم ينته ولم ينزجر [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦)].

ويقول عبـد الله بن عمرو: إنا لنجد ابنُ آدم القاتل، يقاسم أهل النـار قسمة صحيحة العذاب عليهم شطر عذابه.[تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)].

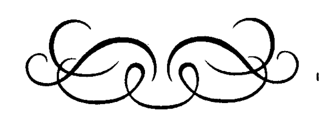
ويقول عبد الله بن عمـرو أيضًا: إن أشقى الناس رجلاً لابن آدم، الذي قتل أخاه، ما سـفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيـامة، إلا لحق به منه شر وذلك، أنه أول من سن القتل.[تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)].

وقال إبراهيم النخعي: ما من مقتول يقتل ظلمًا، إلا كان على ابن آدم الأول والشيطان كفل منه .[تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)].

ويقول ابن كثير (رحمه الله تعالى): وروى محمد بن إسحاق قال: زعم أهل التوارة أن قابيل لما قتل أخاه هابيل، قـال له الله: يا قابيل أين أخوك هابيل؟ قال: ما أدري ما كنت عليـه رقيبًا، فقـال الله: إن صوت دم أخيك ليناديني من الأرض الآن، أنت ملعون من الأرض، التي فـتحت فاها فتلقت دم أخـيك من يدك، فإن أنت عملت في الأرض، فإنهـا لا تعود تعطيك حرثها، حتى تكون فـزعًا تائهًا في الأرض. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٥ ـ ٤٦)].

بهذا استحق قابيل أن يكون من الخاسرين، وأن يدخل النار ، وأن يكون فيها من الخالدين. قال (تعالى) على لسان أخيه هابيل:

﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩].



تشتعل النار لفرعون الإله الذي غرق

أحيانًا يكون الملك نـعمة، وأحيانًا أخـرى يكون نقمة على صاحبـه؛ فإذا ما حكم الملك أمور العـامة والخاصة بما يقتـضيه شرع الله وأمره، اسـتطاع بفضل الله (تعالى) أن يجـمع خيـري الدنيا والآخرة؛ أمـا إذا صرف همـمـه وأنفاسـه إلى ما يغضب الله، ويجلب سخطه، كان قد سقط برغبته في غياهب العذاب، وبين أيدينا قصة رجل ملك مصر، واعتلى عرشـها، ولكنه وللأسف المحقق تكبر وتجبر وطغى وعلا وأهان أهـلها، وجعلـهم أصنافًا يسـخر كل صنف فـيما يريد؛ بـل إنه كان يستـعملهم في أخس الأعـمال، وكان يذبح أبناءهم ويسـتحيي نسـاءهم؛ إنهم بنو إسرائيل.

قال (تعالى): ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٤ - ٦].

وكان الحامل لفـرعون على تقتيل الأبناء، علمـه من بعض الإسرائيليين، أن ولد سـيولد من صلب الخليل إبراهـيم، وسيكون هلاك فـرعون على يديه، فـأراد فرعون أن يحترس من هذا، فأمر بقتل الأبناء الذكور من بني إسرائيل، ولكن حذر فرعـون لم يمنع من قدر الله، فالله إذا أراد شيـئًا لا يستطيع أحـد منعه، وولد هذا الغلام؛ بل إنه ذهب إلى قصر فرعون بأمـر دبره الله (سبحانه)، وشاء الله أن ينجو موسى من كـيد فـرعون، وعـاش في قصر فـرعون بين الرعـاية والحب والعطف والحنان من زوجة فـرعون، وأعاده الله إلى أمه لتـرضعه، احـتضنته زوجة فـرعون وقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ القصص: ٩]. فقال فـرعون: أما لك فنعم، وأما لي فلا.

فكان كذلك وهداها الله بسببه؛ أما فرعـون وحاشيته، فلقد كان موسى لهم عدوًا وحزنًا، وعاش الغلام في قصر عدوه ، وترعرع هناك، حتى كبر وبلغ أشده، واشتد عوده.

فلما كان ذلك كذلك آتاه الله حكمًـا وعلمًا، قال (تعالى): ﴿**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾ [القصص: ١٤].

قال مجـاهد يعني: النبوة، وذات يوم دخل موسى المدينة، قـال ابن عباس: وذلك بين المغرب والـعشاء، وقـال في رواية أخرى عنه: كان ذلك نـصف النهار، وقال سعـيد بن جبير وعكرمـة والسدي وقتادة (رحمـهم الله تعالى)، عندما دخل وجد رجلين يقتتـلان أي يتضاربان ويتنازعان؛ أحدهما إسـرائيلي، والآخر قبطي، وهو من عدوه، والأول من شـيعتـه، فاستـغاث الإسرائيلي بموسـى على القبطي، فعمـد موسى إلى القبطي، وطعنه بجـمع كفه، وقيل: وكـزه بعصا كانـت معه ، فقضى عليه أي قتله، ولكن مـوسى ندم، وعلم أن ذلك من عمل الشيطان، واتجه إلى ربه، يقول: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (١٦) قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ**﴾ [القصص: ١٦، ١٧]. جعلت لي من العز والجاه والنعمة ﴿**فَلَنْ أَكُـونَ ظَهِـيرًا**﴾ يعني: مـعينًا ﴿**لِّلْمُـجْـرِمِينَ**﴾ أي: الكافرين بـك المخالفين لأمرك.

فلما قتل مـوسى القبطي؛ أصبح في المدينة يترقب ويتلفت حـوله خائفًا؛ مما قد يحدث بسبب قتله للقبطي، وفي بعض الطرق وجد هذا الذي استنصره بالأمس يقاتل آخـر، فلما مـر موسى عليه، طلب من مـوسى أن يبطش بالآخر، فـقال له موسى: ﴿**إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ**﴾ [القصص: ١٨]. يعني: ظاهر الغواية كـثير الشر، ثم عزم على البطش بذلك القبطي، فاعتقد الإسـرائيلي لضعفه وخوره وذلته أن موسى إنما يريد قصده لما سمعه يقول ذلك، فقال يدفع عن نفسه: ﴿**يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ**﴾ [القصص: ١٩]. فلم يكن يعلم بمقتل القبطي إلا موسى، وهذا الرجل، فلما سمعـها ذلك القبطي لقفها من فمـه، ثم ذهب بها إلى فرعون

وألقاها عنده، فعلم فرعون ذلك فاشتد حنقه، وعزم على قتل موسى، فطلبوه فبعثوا وراءه ليحضروه لذلك.

ولكن رجل آخر سبق إلى موسى، وأبلغه بأن القوم يتشاورون في أمرك، ويريدون قتلك، وبين له أنه له لمن الناصحين.

فلما أخبره بما تمالأ عليه فرعون ومن معه في أمره، وخرج من مصر خائفًا يترقب أي يتلفت، وتوجه إلى ربه يدعوه النجاةمن القوم الظالمين، من فرعون وملئه، إلى أن توجه تلقاء مدين، وكان ما كان.

يقول (تعالى): ﴿ **فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ * وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص: ٢١ - ٢٤].

جاءت إحدى الفتاتين تمشي على استحياء، تطلب من كليم الله موسى أن يلبي دعوة أبيها في الحضور إليه؛ ليجزيه أجر ما سقى لهما، فلما ذهب نبي الله موسى إلى والد الفتاتين، وقص عليه من أمره طمأنه العبد الصالح، وأعلمه أنه في مأمنٍ من بطش القوم، وأنه قد نجا من القوم الظالمين.

قال (تعالى): ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص: ٢٥].

وعاش كليم الله موسى في كنف هذا العبد الصالح، وزوجه العبد الصالح من إحدى ابنتيه على أن يعمل له في الغنم ثماني سنوات، فإن أتمها عشرًا، فذلك فضل من موسى، وإلا فالثمان كافية، فأتم موسى عشر سنين.

قال (تعالى) على لسان العبد الصالح: ﴿ **قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ**

هاتين على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين * قال ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾ [القصص: ٢٧، ٢٨].

فلما قضى موسى الأجل، أخذ أهله وسار بهم من جانب الطور الأيمن، آنس نارًا، فطلب من أهله أن يمكثوا، حتى يذهب إليها؛ ليأتيهم منها بقطعة من النار، لتضيء لهم الطريق، ويستدفئون بها من البرد، فلما آتاها ناداه ربه.

قال (تعالى): ﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور نارًا قال لأهله امكثوا إني آنست نارًا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون * فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين * وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرًا ولم يعقب يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين * اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء واضمم إليك جناحك من الرهب فذانك برهانان من ربك إلى فرعون وملئه إنهم كانوا قومًا فاسقين﴾ [٢٩ - ٣٢].

أمر الله (تعالى) موسى: أن يذهب بهذه الآيات إلى فرعون، ولكن موسى إنما خرج من ديار مصر فرارًا منه، وخوفًا من سطوته ﴿إني قتلت منهم نفسًا فأخاف أن يقتلون﴾ [القصص: ٣٣]. يعني: إذا رآني، وطلب موسى من ربه أن يرسل معه هارون أخاه، فهو أفصح من موسى، ولكي يكون معينًا ومقويًا لأمري يصدقني فيما أقوله، وأخبر به عن الله؛ لأن خبر الإثنين أنجع في النفوس من خبر الواحد؛ ولهذا قال (تعالى): ﴿إني أخاف أن يكذبون﴾ [القصص: ٣٤]. فآتاه الله سؤله، ووهب له هارون من رحمته، وذهب موسى وهارون إلى هذا الطاغية فرعون، وذكراه بالله، وأراه موسى الآيات، ولكنه اتهم موسى بالسحر هو ومن معه.

قال (تعالى): ﴿فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات قالوا ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين * وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ [القصص: ٣٦، ٣٧].

ورغم كل هذه الآيات البينات، التي أرسلها الله على يـدي موسى لفرعون، إلا أنه لم يستجب، ويزداد طغيانه، ويكثر افتراؤه، على الله فيدعي الألوهية لنفسه، وقومه من ورائه يؤمنون على قوله.

قال (تعالى): ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وهكذا يستفحل طغيان هذا الكافر، هو وجنوده، ويزداد علوه في الأرض، وما كان الله ليهمله، وتأتي اللحظة الفاصلة، وتكون عاقبته ظاهرة أمام الجميع، ويغرق في اليم.

قال (تعالى): ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ * فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٣٩، ٤٠].

وليس هذا فحسب، بل إن الله (تعالى) جعلهم ملعونين على ألسنة المؤمنين في الدنيا، وجعلهم أئمة يدعون إلى النار، وهم في الآخرة من المقبوحين.

قال (تعالى): ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنصَرُونَ * وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤١، ٤٢].

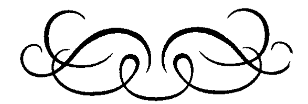
قال (تعالى): ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٨، ٩٩].

فهذه النار: هي الرفد والعطاء والمنة، التي رفد بها فرعون قومه، أي يعد السحرة عطاء جزيلاً ورفدًا مرفودًا، فهذا رفده لمن اتبعه النار: ﴿وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ و ﴿بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾.

قال (تعالى): ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى) : وهو الغرق في اليم، ثم النقلة إلى الجحيم، فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار. [تفسير ابن كثير سورة القصص من أولها].

وهكذا استحق هذا اللعين الملعون أن تشتعل له النار يوم القيامة.



تشتعل النار للمشركين يوم القيامة

الذين أشركـوا مع الله غير ه، فبـاءوا بالخسران والنيـران هؤلاء الذين ظلموا أنفسـهم بأيديهم، ومـا كان الله ليظلمـهم، ولكن كانوا أنفـسهم يظلمـون، إنهم المشـركون، فـاستـحقـوا غضب الله وسـخطه ولعنتـه لهم في الدنيا وفي الآخـرة ليسومهم سوء العذاب .

والإشراك بالله أن يجعل لله ندًا، ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر، أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك [الكبائر للذهبي ص٩].

وهذا الشرك من أكبر الكبائر، بل إنه يخلد صاحبه في النار إن مات عليه قال (تعالى): ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء: ٤٨].

وقال (تعالى): ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾ [لقمان: ١٣].

والنبي أخبرنا أنه من الكبـائر فقال (ﷺ): «**ألا أنبئكم بأكبـر الكبائر ثلاثًا**.. قـالوا : بلى يا رسول الله. قـال: **الإشـراك بالله** ..... الحـديث» [رواه البخـاري ومسلم].

وقال النبي (ﷺ): «**اجتنـبوا السبع المـوبقات** .... فذكر منهـا الشرك بالله» [رواه البخاري ومسلم].

وهناك شرك آخـر يسمى الشرك الأصغـر وهو كل وسيلة يمكن أن تؤدي إلى الشرك الأكبر ولم تبلغ رتبة العبـادة ولا يخرج فاعله عن الإسلام ولكنه من الكبائر ومنه:

١ - **الرياء:** لقوله (ﷺ) فـيما يـرويه عن رب العزة: «**إن أخـوف ما أخـاف**

عليكم الشرك الأصغر. قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **الرياء، يقول الله (عز وجل) لهم يوم القيامة إذا جزى الناس بأعمالهم (اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)**» [رواه أحمد وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

ومن الشرك الأصغر:

٢- الحلف بغير الله: لقوله (ﷺ): «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» [رواه أبو داود، وابن حبان، والحاكم، وأحمد وصححه الألباني في الأرواء] .

٣- الشرك الخفي: وقد فسره ابن عباس بقول الرجل لصاحبه (ما شاء الله وشيءت)، ومثله: (لولا الله وفلان)، ويجوز أن تقول: (لولا الله ثم فلان. لأن ثم تفصل الصلة بين الله والشخص الآخر أما الواوفهي توصل بينهما.

قال رسول الله (ﷺ): «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان**» [أبو داود، وأحمد، والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة].

ولقد أمرنا رب العزة ألا نشرك بعبادته أحدًا فقال (عز من قائل): ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف: ١١٠].

والشرك محبط للعمل قال (تعالى): ﴿**لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٥]. فإذا تاب العبد ونفى الشرك عن الله كان من الموحدين.

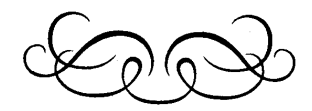
وقد يطلق على الشرك الكفر، فكل شرك كفر، وليس كل كفر شرك، فقد يكون الكفر في استحلال ما حرم الله وقد يكون في الجحود وانكار وجود الإله، ويطلق على الشرك كفر أيضًا في مثل قوله: ﴿**لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ**﴾ [المائدة: ٧٣].

فهؤلاء النصارى الذين جعلوا لله صاحبة وولدًا سماهم الله كفارًا، لأنهم كفروا بوحدانية الله وجعلوا له شركاء.

جزاء المشركين:

قال الله (تعالى): ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾ [آل عمران: ١٥١]. وقال (تعالى): ﴿**إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ**﴾ [المائدة ٧٢]. وقال (تعالى): ﴿**وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ [الحج: ٣١].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترةٌ وغَبَرَةٌ فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك فيقول إبراهيم: يارب إنك وعدتني ألا تخزني يوم يبعثون فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله تعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين، ثم يُقال: يا إبراهيم ما تحت رجليك فينظر فإذا هو بذيخ ملتطخ فيؤخذ بقوائمه في النار**» [رواه البخاري: (٣٣٥٠)].



تشتعل النار للوليد بن المغيرة
قبحه الله وأذله
المناع للخير... العتل الزنيم

الحديث الآن عن رجل من أخبث الرجال، كان للإسلام والمسلمين، وعلى الرغم من أنه كان أفصح الشعراء في زمنه، إلا أنه استخدم شعره في هلاك نفسه، هذا الرجل كان ذا مكانة عالية في قومه؛ إذ كان سيد بني مخزوم، وكان له عقل راجح، ورأيٌ صائب، لما علم أن نبينا قد بعث يدعو إلى التوحيد، ونبذ الشرك، أسرع إليه ليقف على حقيقة أمره، وهل هو شاعر كما يزعم قومه عليه، فلئن كان شاعرًا لانكشف أمره وذهب ذكره، ذهب الوليد إلى رسول الله (ﷺ) ليسمع منه، وها هي القصة:

عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي (ﷺ)، فقرأ عليه القرآن، وكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فقال له: ياعم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ليعطوكه، فإنك أتيت محمدًا تتعرض لما قبله، فقال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً.. قال أبو جهل: فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له وكاره.. قال: وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزها وبقصيدها مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو ما يعلى.. قال أبو جهل: لا يرضى عنك قومك، حتى تقول فيه.. قال الوليد: فدعني حتى أفكر فيه، فقال الوليد: هذا سحرٌ يؤثر (يؤخذ عن غيره).

وإذا كان هذا الكافر الأشر الوليد بن المغيرة قد وصف رسول العناية الإلهية، وشمس الهداية الربانية، محمد بن عبد الله (صلوات ربي وسلامه عليه)، إذا كان

قد وصفه: بأنه ساحر، وقد كذب ورب الكعبة، فإن الله (تعالى) تولى الرد عليه، ووصفه بأوصاف عديدة ذميمة ظلت متلبسة به. يقول (تعالى): ﴿ **وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ [القلم: ١٠ ـ ١٦].

أوصاف الوليد بن المغيرة كما بينها القرآن الكريم:

١، ٢ـ حلاف، مهين: أي كثير الحلف بالباطل، حقير. يقول ابن كثير (رحمه الله تعالى): وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقي بأيمانه الكاذبة، التي يجترئ بها على أسماء الله (تعالى)، واستعمالها في كل وقت في غير محلها.

٣، ٤ـ هماز، مشاء بنميم: عياب مغتاب، ويمشي بالنميمة بين الناس.

٥ـ مناع للخير: أي بخيل شديد البخل بالمال.

٦،٧ـ معتد أثيم: أي على الناس بأذيتهم في أنفسهم وأموالهم. أثيم: يرتكب الجرائم والآثام.

٨، ٩ـ عتل بعد ذلك زنيم: العتل الغليظ الجافي، الفظ الغليظ الجموع المنوع، زنيم: أي دعى ليس منهم. قال ابن عباس: الزنيم الدعي، وقال سعيد: هو الملصق بالقوم ليس منهم.

﴿ **إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ** ﴾ أي ما روته الأولون من قصص وحكايات وليس بوحي قرآني ﴿ **سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ** ﴾ أي سنجعل على أنفه علامة يعير بها ما عاش، فحطم أنفه بالسيف يوم بدر، وقيل سنسمه: سمة أهل النار يعني: نسود وجهه يوم القيامة، وعبر عن الوجه بالخرطوم، وحكى ذلك كله أبو جعفر بن جرير، ومال إلى أنه لا مانع من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو قبحه. [تفسير ابن كثير سورة القلم الآيات]

قال المفسرون: نزلت في الوليد بن المنيرة، فقد كان دعيًا في قريش، وليس

منهم، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة (أي تبناه، ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب) قال ابن عباس (رضي الله عنهما): لا نعلم أحدًا وصفه الله بهذه العيوب غير هذا، فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وإنما ذم بذلك؛ لأن النطفة إذا خبثت خبث الولد.

وروي أن الآية لما نزلت جاء الوليد إلى أمه فقال لها: إن محمدًا وصفني بتسع صفات كلها ظاهرة فيّ أعرفها غير التاسع منها - يريد أنه (زنيم) - أي ابن زنا، فإن لم تصدقيني ضربت عنقك بالسيف، فقالت له: إن أباك كان عنينًا (أي لا يستطيع معاشرة النساء) فخفت على المال فمكنت راعيًا من نفسي، فأنت ابن ذلك الراعي، فلم يعرف أنه ابن زنا حتى نزلت هذه الآية، ثم دمغه الله، أي جعل له علامة على أنفه استخفافًا به في الدنيا، وتمييزًا له يوم القيامة أنه من أهل النار.

وقد ظل هذا الكذاب الأشر ينسج خيوط كذبه وعداوته على هذا الدين، وقد ظن هذا الأحمق كغيره من أهل ملته أنه من المخلدين، إلا أنه لابد لكل ظالم غاشم نهاية، إن الله (تعالى) أنعم عليه بكثرة المال والولد، ولكنه جحد وكفر، فكانت العاقبة نارًا وشررًا، ونزل فيه قول الحق (تبارك وتعالى):

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَذَا إِلاَّ قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ١١ - ٣٠].

هذه الآيات نزلت في الوليد بن المغيرة، تتوعده بالعذاب الشديد. وقوله (تعالى): ﴿**سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا**﴾ روى أبوحاتم عن أبي سعيد عن النبي (ﷺ) قال: **«هو جبل في النار من نار، يكلف أن يصعده، فإذا وضع يده ذابت، وإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله ذابت، وإذا رفعها عادت»** [تفسير ابن كثير سورة المدثر الآيات].

وقال قتادة عن ابن عباس: صعودًا: صخرة في جهنم يسحب عليها الكافر

على وجهه، وقال مجاهد ﴿ **سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا** ﴾ أي مشقة من العذاب.

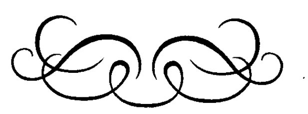
أما قوله: ﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ أي سأغمره فيها من جميع جهاته ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ** ﴾ وهذا تهويل لأمرها، وتفخيم ﴿ **لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ** ﴾ أي تأكل اللحوم والعروق والعصب والجلود، ثم تبدل غير ذلك وهو في ذلك لا يموت ولا يحيا.

قال نحو هذا القول أبو بريدة وأبو سنان وغيرهما نقله عنهم ابن كثير. [تفسير ابن كثير سورة المدثر الآيات].

ويقول صاحب الظلال (رحمه الله تعالى): في قوله (تعالى):

﴿ **سَأُصْلِيهِ سَقَرَ** ﴾ وزاد هذا الوعيد تهويلاً بتجهيل سقر ﴿ **وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ** ﴾ إنها شيء أعظم وأهول من الإدراك، ثم عقب على التجهيل بشيء من صفتها أشد هولاً: ﴿ **لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ** ﴾ فهي تكنس كنسًا وتبلع بلعًا، وتمحو محوًا، فلا يقف لها شيء، ولا يبقى وراءها شيء، ولا يفضل منها شيء! ثم هي تتعرض للبشر وتلوح ﴿ **لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ** ﴾ كما قال في سورة المعارج ﴿ **تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى** ﴾ [المعارج] فهي تدل على نفسها، وكأنما تقصد إثارة الفزع في النفوس بمنظرها المخيف [في ظلال القرآن سورة المدثر الآيات].

وهكذا توعد الله لهذا الكافر بالنار في الآخرة، فتبًا له وتبًا لذي الأوصاف والأخلاق.



تشتعل النار للمنافقين

●●●

منشأ النفاق

هؤلاء المنافقون مثلهم كمثل القبر؛ حفته الزهور، وتحته عفنٌ دفين أظهروا الإسلام وأخفوا كفرهم بالرحمن.

أيها المسلمون: **النفاق:** هو إظهار الخير، وإسرار الشر، وهو أنواع:

١- **اعتقادي:** وهو الذي يخلد صاحبه في النار.

٢- **وعملي:** وهو من أكبر الذنوب، قال ابن جريج: المنافق يخالف قوله فعله، وسره علانيته، ومدخله مخرجه، ومشهده مغيبه، وإنما نزلت صفات المنافقين في السور المدنية؛ لأن مكة لم يكن فيها نفاق، بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرهًا، وهو في الباطن مؤمن فلما هاجر رسول الله (ﷺ) إلى المدينة، وكان بها الأنصار من الأوس والخزرج، وكانوا في جاهليتهم يعبدون الأصنام على طريقة مشركي العرب، وبها اليهود من أهل الكتاب على طريقة أسلافهم، وكانوا ثلاث قبائل، بنو قينقاع حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة حلفاء الأوس.

فلما قدم رسول الله (ﷺ) المدينة وأسلم من أسلم من الأنصار من قبيلتي الأوس والخزرج، وقلَّ من أسلم من اليهود إلا عبد الله بن سلام (رضي الله عنه)، ولم يكن إذ ذاك نفاق أيضًا؛ لأنه لم يكن للمسلمين بعد شوكة تخاف، بل كان (عليه الصلاة والسلام) وادع اليهود وقبائل كثيرة من أحياء العرب حول المدينة.

فلما كانت وقعة بدر العظمى وأظهر الله كلمته، وأعز الإسلام وأهله، قال عبد الله بن أبي بن سلول، وكان رأسًا في المدينة، وهو من الخزرج، وكان سيد الطائفتين في الجاهلية، وكانوا قد عزموا على أن يملكوه عليهم، فجاءهم الخبر، وأسلموا وانشغلوا عنه، فبقي في نفسه من الإسلام وأهله، فلما كانت وقعة بدر

قال: هذا أمر قد توجه، فأظهر الدخول في الإسلام، ودخل معه طوائف ممن هم على طريقته، ونحلته، وآخرون من أهل الكتاب، فمن ثمَّ وجد النفاق في أهل المدينة ومن حولها من الأعراب. [تفسير ابن كثير (١/ ٤٧)]. **ولكن ما أسباب النفاق؟**

أسباب النفاق

يقول الدكتور/ محمد بن إسماعيل ـ المدرس بجامعة الأزهر:

لعله من الواضح بعد أن عرفنا نشأة النفاق، وأهم جذوره، وأنه خلق طبعي، عند اليهود، تأثر به بعض عرب المدينة، ومن حولها من الأعراب؛ أن الأسباب الظاهرة للنفاق: هي وقوف الإسلام عقبة أمام شخص، أو قوم لا يستطيعون تحطيم هذه العقبة علانية، فيحاولون أن ينخروا فيها؛ لتنهار من حيث لا يظهرون، حتى تخلو لهم الطريق إلى آمالهم، حيث كان اليهود يستفتحون على جيرانهم العرب من الأوس والخزرج، مفاخرين إياهم بأنه سيظهر منهم نبي، يجعل لهم الغلبة والسلطان والمجد على العرب، وإذ النبي يظهر من العرب لا من اليهود.

فقد روى ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس (رضي الله عنهما): أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله (ﷺ) قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء ابن معرور أخو بني سلمة: فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد (ﷺ)، ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنه مبعوث وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أخو بني النضير: ما جاءنا بشئ نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكر لكم، فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿ **وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٨٩].

قال ابن هشام: فأما عبد الله بن أبي بن سلول، فكان في قومه قد نظموا له الخرز، ليتوجوه، ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله (تعالى) برسول الله (ﷺ)، وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام ضغن ورأى أن رسول الله (ﷺ) قد استلبه ملكًا، فلما رأى قومه قد أبوا إلا الإسلام؛ دخل فيه كارهًا مصرًا على

نفاق وضغنٍ [سيرة ابن هشام (٢/ ١٦١)]، وبدأ يكيد للإسلام.

(ما هي صفات المنافقين؟)

●●●

من صفات المنافقين

١ - مرض القلب:

قال ابن منظور: والمرض: الشك، ومنه قوله (تعالى): ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ [البقرة: ١٠]. أي: شك ونفاق، وضعف يقين.

وقال الراغب الأصبهاني: والمرض هو الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان وذلك ضربان:

الأول: مرض جسمي: وهو المذكور في قوله: ﴿**وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ**﴾ [الفتح: ١٧].

والثاني: عبارة عن الرذائل: كالجهل، والجبن، والبخل، والنفاق وغيرها من الرزائل، وذلك نحو قوله (تعالى): ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠]. ويشبه: النفاق والكفر ونحوهما من الرذائل بالمرض.

والمرض في أصل اللغة: خروج البدن عن اعتدال مزاجه، وصحة أعضائه، فيتعرض البدن عن اعتدال مزاجه، وصحة أعضائه، فيتعرض البدن للآلام، ويطلق مجازًا على شك القلوب وارتيابها، فمرض قلوب المنافقين في قوله (تعالى): ﴿**فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا**﴾ [البقرة: ١٠].

والمراد بالمرض هنا: تردد في العقيدة، وعدم وصولها إلى الحق، مع قيام الأدلة عليه، فلما عموا عن النور، زادهم الله مرضًا.

فالنفاق: عرض ظاهري لمرض قلبي، هو الشك والجبن [تفسير مفاتيح الغيب

(١/ ٤٤١، ٤٤٢)].

٢ـ الخداع:

ومعناه في اللغة: الكتمان، والإخفاء، والمنع، والنقصان، والحبس والاحتيال [راجع هذه المعاني لسان العرب لابن منظور (٢/ ١١١٢) مادة (خدع)].

قال الراغب: الخداع: إنزال الغير عما هو بصدده بأمر يبديه على خلاف ما يخفيه [المفردات في غريب القرآن ص ١٤٣]. وأصل الخداع بكسر الخاء وفتحها، الإخفاء، والإبهام، وقيل: بالفتح اسم مصدر، ومنه المخدع للخزانة، والأخدعان: عرقان في العنق؛ لأنهما خفيان في موضع الحجامة، وقالوا خدع الضبع خدعًا إذا توارى في حجر، واختفى فلم يظهر إلا قليلاً [تفسير روح المعاني للألوسي (١/ ١٤٥، ١٤٦].

وقد جاء وصف المنافقين بالخداع في قوله)تعالى): ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ** ﴾ [النساء: ١٤٢]. وقوله (تعالى): ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٩].

يقول الحافظ ابن كثير: يعتقدون بجهلهم أنهم يخدعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليهم، كما قد يروج على بعض المؤمنين، كما قال (تعالى): ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ** ﴾ [المجادلة: ١٨]. ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾ [البقرة: ٩]. يقول: وما يغرّون بصنيعهم هذا ، ولا يخدعون إلا أنفسهم، ولا يشعرون بذلك من أنفسهم ومن القراء من قرأ: ﴿**وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ**﴾، وكلا القراءتين ترجع إلى معنى واحد. [تفسير ابن كثير (١/ ٤٧، ٤٨) الآية ٩ من سورة البقرة].

وفي قوله (تعالى): ﴿ **يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ** ﴾ [البقرة: ٩].

وفي بيان الغرض من خداع المنافقين، قال الرازي فيه وجوه:

١ - أنهم ظنوا أن النبي والمؤمنين يجرونهم في التعظيم والإكرام مجرى سائر المؤمنين، إذا أظهروا لهم الإيمان، وإن أسروا خلافه، فمقصودهم من الخداع هذا.

٢ - يجوز أن يكون مرادهم إفشاء النبي (ﷺ) والمؤمنين إليهم أسرارهم، فينقلونها إلى أعدائهم من الكفار.

٣ - أنهم دفعوا عن أنفسهم أحكام الكفر، مثل القتل؛ لقول النبي (ﷺ): «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله....**» [البخاري (٢٥) في الإيمان، ومسلم (٢٢/٣٦) في الإيمان باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأحمد (٤/٤٢٣)].

٤ - أنهم كانوا يطمعون في أموال الغنائم. [مفاتيح الغيب (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)].

٣ ـ الكذب

[الكذب خلاف الصدق يقول كَذَبَ كَذِبًا وكِذْبًا: وكِذَّابًا: أخبر عن الشئ بخلاف ما وقع عليه في الواقع، وعليه أخبر عنه بما لم يكن فيه، انظر: المعجم الوجيز ص ٥٣٠ مادة كَذَبَ].

ومن كذبهم إدعاء الإيمان بالله واليوم الآخر، فقد ادعى المنافقون كذبًا الإيمان بالله (تعالى) وباليوم الآخر، وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين، إنما هم منافقون، لا يجرؤون على الإنكار والتصريح بحقيقة شعورهم في مواجهة المؤمنين، لذلك أعد الله لهم العذاب الأليم، بسبب كذبهم في دعوى الإيمان، واستهزائهم بآيات الرحمن.

قال (تعالى): ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ**

اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

ومن خبث هؤلاء المنافقين: أنهم ادعوا الإيمان بالله وباليوم الآخر، وليس الأمر كذلك كما كذبهم المولى (عز وجل) في شهادتهم وفي خبرهم هذا بالنسبة إلى اعتقادهم، بقوله (تعالى): ﴿**وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١]. وبقوله: ﴿**وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ**﴾ [البقرة: ٨]. [تفسير القرآن العظيم لابن كثير (١/٤٧)].

والقرآن الكريم قد سجل على المنافقين كذبًا أشد جرمًا وأعظم قبحًا وهو تكذيبهم رسالة رسول الله (ﷺ) حيث قال (تعالى): ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾ [المنافقون: ١].

ومما روي عن رسول الله (ﷺ) في صفة المنافقين:

١ ـ عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» [البخاري: (٣٣)، ومسلم: (٥٩/١٠٧)، وأحمد: (٢/٣٥٨)].

٢ ـ وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله (ﷺ): «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر. فمن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خَصلة من النفاق حتى يدعها**» [البخاري: (٣٤)، ومسلم: (٥٨/١٠٦)].

٤ ـ بيع دينه بعرض الدنيا:

عن أبي هريرة أن رسول الله (ﷺ) قال: «**بادروا بالأعمال ستكون فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض الدنيا**» [مسلم: (١١٨/١٨٦) وأحمد: (٢/٣٠٤)، والسلسلة

الصحيحة: (٧٥٨)].

وهناك الكثير من صفات المنافقين التي وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة نسأل الله العافية منها ونسأله حسن المآب والله حسبنا ونعم الوكيل.

●●●

أنواع النفاق

النفاق نوعان: نفاق أكبر ؟ ونفاق أصغر.

أولاً: النفاق الأكبر: وهو النفاق الاعتقادي ويعني إظهار الإسلام باللسان، واعتقاد الكفر في القلب والجنان، وهو على أنواع:

١ ـ تكذيب رسول الله (ﷺ).

٢ ـ تكذيب بعض ما جاء به.

٣ ـ الفرح بهزيمة الإسلام.

وصاحب النفاق عذابه أشد من الكفار، وخطره أعظم؛ لقوله (تعالى): ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: ١٤٥].؛ ولهذا وصف الله الكافرين بآيتين، ووصف المنافقين بثلاث عشرة آية، في أول سورة البقرة [من الآية ٨ ـ ٢٠].

ثانيًا النفاق الأصغر:

وهو النفاق العملي كالمسلم المتصف بصفة المنافقين، التي أخبر عنها الرسول (ﷺ) بقوله: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» [سبق تخريجه]. وقال (ﷺ): «**أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خَصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر**» [سبق تخريجه].

وهذا النفاق لا يخرج صاحبه من الإسلام، إلا أنه من الكبائر، قال الترمذي: معنى هذا عند أهل العلم: نفاق العمل، وإنما كان نفاق التكذيب على عهد رسول الله (ﷺ) [نقلاً عن جامع الأصول (١١/٥٦٩)].

وهذا النفاق، لا يخرج صاحبه عن الملة، إلا أنه من الكبائر.

عاقبة المنافقين:

قال شيخ الإسلام ابن حجر ـ (رحمه الله تعالى) ـ في «الفتح» قال العلماء:

عذاب المنافق أشد من عذاب الكافر؛ لاستهزائه بالدين [فتح الباري لابن حجر (٨/٢٦٦)].

قال ربُنا الباري ـ تقدست أسماؤه: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾ [النساء: ١٤٥].

قال الإمام أبو عبد الله البخاري (رحمه الله تعالى): قال ابن عباس: «أسفل النار» قال الحافظ: قوله: قال ابن عباس: أسفل النار» وصله ابن أبي حاتم من طريق عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: الدرك الأسفل: أسفل النار».

قال أبو عبد الرحمن الأثري: قلت: نسأل الله العافية. قال ربنا جل ذكره: ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ**﴾ [البقرة: ١٦].

قال أبو الفداء ابن كثير (رحمه الله تعالى): روى ابن جرير وابن أبي حاتم، عن قتادة: «قد ـ والله ـ رأيتموهم خرجوا من الهدى إلى الضلالة، ومن الجماعة إلى الفرقة ومن الأمن إلى الخوف، ومن السنة إلى البدعة».

قال الله (تعالى): ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٧، ١٨].

قال أبو الفداء (رحمه الله تعالىٰ): وتقرير ذلك المثل أن الله (سبحانه وتعالىٰ)

شبههم في اشترائهم الضلالة بالهدىٰ، وصيرورتهم بعد البصر إلىٰ العمىٰ بمن استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله، وانتفع بها وأبصر بها ما عن يمينه وشماله، استوقد نارًا، وتأنس بها فبينا هو كذلك؛ إذ طفئت ناره، وصار في ظلام شديد لا يبصر ولا يهتدي، وهو مع ذلك أصم لا يسمع أبكم لا يتكلم، أعمىٰ لو كان ضياء لما أبصر؛ فلهذا لا يرجع إلىٰ ما كان عليه قبل ذلك [تفسير ابن كثير عند الآية ١٧ من سورة البقرة].

لطيفة: قال أبو الفدا (رحمه الله تعالىٰ) رحمة واسعة: «وقد التفت في أثناء المثل من الواحد إلىٰ الجمع في قوله: ﴿**أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ**﴾ [البقرة: ١٧، ١٨]. وهذا من أفصح الكلام، وأبلغ النظام، فقوله: ﴿**ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ**﴾ أي أذهب عنهم ما ينفع، وهو النور وأبقىٰ لهم ما يضرهم، وهو الإحراق والدخان ﴿**وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ**﴾ وهو ما هم فيه من الشك والكفر والنفاق ﴿**لَا يُبْصِرُونَ**﴾ لا يهتدون إلىٰ سبيل خير، ولا يعرفونها وهم مع ذلك ﴿**صُمٌّ**﴾ لا يسمعون خيرًا ﴿**بُكْمٌ**﴾ لا يتكلمون بما ينفعهم ﴿**عُمْيٌ**﴾ في ضلالة؛ وعماية البصيرة، كما قال (تعالىٰ): ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج: ٤٦]. فلهذا ﴿**لَا يَرْجِعُونَ**﴾ إلىٰ ما كانوا عليه من الهداية، التي باعوها بالضلالة [تفسير ابن كثير عند الآية ١٧ من سورة البقرة].

هكذا جزاء الذين كادوا للإسلام، عبر الدهور والأزمان يريدون بصنيعهم تدميره، فأضلهم الله عن السبيل، وألحقهم عذابًا شديدًا في الآخرة، جزاء بما كانوا يفعلون في الدنيا.

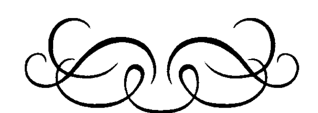
هل للمنافقين من توبة:

أيها المسلمون: فبعد ما عرفنا النفاق وخطورته في المجتمع الإسلامي ودور

المنافقين في تشتيت وتمزيق وحدة المسلمين وتفريق كلمتهم، وما قد يستخدم في سبيل ذلك من وسائل التلبيس والتزييف والتعزير، وأنهم عمال هدم ومعاول شر يجب الحذر منهم وأنهم لذلك أصبح مكانهم في الآخرة في الدرك الأسفل من النار.

نبحث الآن في توبتهم هل تقبل أم لا تقبل؟

فنقول: اختلف العلماء في قبول توبة المنافق: فقال بعضعهم لا تقبل توبته، واستدلوا بذلك بدليل عقلي، وهو تعذر معرفة توبته مع عدمها لأنه كان مظهرًا للإسلام ومبطنًا للكفر فإذا ادعى التوبة من النفاق لم يزد على ما كان عليه من قبل وهو إظهار الإسلام، وقال البعض الآخر: تقبل توبته إذا رجع وأناب إلى الله وهذا القول هو الذي تسانده الأدلة، وتقويه النصوص من الكتاب والسنة الصحيحة، [(انظر المغني لابن قدامة (٨/ ١٢٧)، وكتاب المنافقون في القرآن الكريم ـ ٢٥٣ للدكتور محمد يوسف عبد بن حسن ٢٥٣].



تشتعل النار لعبد الله بن أبي بن سلول

●●●

رأس النفاق

اعلم أيها المسلم: أن النفاق مرض خطير عظيم الخطر، كبير الضرر إذا ما سرى في جسد الأمة، نخر في عظامها، وشتت شملها وفرق جمعها، والنفاق أساسه ضعف الإيمان، أصحابه مذبذبون متغيرون لا مبدأ عندهم، ولا هدف لهم، إلا هدم الدين، يدخلون بيوت الله علنًا، ويذكرون الله أمام الناس جهرًا، حتى لا ينكشف أمرهم، يتزعمون كل باطل، ويريبون في كل حق، يخدعون الناس ويخادعونهم، ولكن الله (تعالى) يعلم أمرهم، ورسوله (ﷺ) يلعن فعلهم.

لهم علامات يعرفون بها، فتحيتهم لعنة، وغنيمتهم ظلم وسرقة، ولا يقربون المساجد إلا هجرًا، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُرًا، مستكبرين، لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صُخبٌ بالنهار.

روي عن زيد بن أرقم (رضي الله عنه) قال: غزونا مع رسول الله (ﷺ)، وكان معنا أناس من الأعراب، فكنا نبتدر الماء، وكان الأعراب يسبقوننا إليه، فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض، ويجعل حوله حجارة، ويجعل النطع [النطع: الغطاء الكبير أو الغليظ] عليه حتى يجيء أصحابه. قال: فأتى رجل من الأنصار الأعرابي، فأرض زمام ناقته ليشرب، فأبى أن يدعه، فانتزع حجرًا ففاض الماء، فرفع الأعرابي خشبته، فضرب بها رأس الأنصاري، فشجه، فأتى عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فأخبره، وكان مع أصحابه، فغضب عبد الله بن أبي سلول وقال: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧]. يعني: الأعراب، وكانوا يحضرون رسول الله (ﷺ) عند الطعام، فقال عبد الله لأصحابه: إذا انفضوا من

عند محمد، فأتوا محمدًا بالطعام، فليأكل هو ومن معه، ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة، فليخرج الأعز منها الأذل. قال زيد: وأنا ردف رسول الله (ﷺ)، قال: فسمعت عبد الله بن أبي بن سلول يقول ما قال، فأخبرت عمي.. فانطلق، فأخبر رسول الله (ﷺ)، فأرسل إليه رسول الله (ﷺ)، فحلف وجحد قال: فصدقه رسول الله (ﷺ)، وكذبني قال: إليّ عمر، فقال: ما أردت إلا أمقتك (المقت: الغضب مع الكراهية ويأتي بمعنى الذم) رسول الله (ﷺ)، وكذبك المسلمون؟ قال: فوقع عليّ من الغم ما لم يقع على أحد قط.

قال: فبينما أنا أسير مع رسول الله (ﷺ) في سفر، وقد خفقت رأسي من الهم؛ إذ أتاني رسول الله (ﷺ) فعرك أذني، وضحك في وجهي، فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا، ثم إن أبا بكر لحقني، وقال: ما قال لك رسول الله (ﷺ) قلت: ما قال شيئًا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي، فقال: أبشر، ثم لحقني عمر، فقلت له مثل قولي لأبي بكر، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله (ﷺ) سورة المنافقين [البخاري: (٤٩٠٠ ـ ٤٩٠٧)، مسلم: (٢٧٧٢/١)].

﴿ إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ ﴾ [المنافقون: ١ ـ ٣].

قال المفسرون: نقلاً عن: صفوة التفاسير للصابوني].

لما نزلت الآيات تفضح المنافقين، وتكشف الأستار عنهم مشى إليهم أقرباؤهم من المؤمنين، وقالوا لهم ويلكم لقد افتضحتم بالنفاق وأهلكتم أنفسكم، فأتوا رسول الله (ﷺ)، وتوبوا إليه من النفاق، واسألوه يستغفر لكم، فأبوا وحركوا رؤوسهم سخرية واستهزاءً، فنزلت الآية... ثم جاؤوا إلى ابن سلول، وقالوا له: امض إلى رسول الله (ﷺ)، واعترف بذنبك؛ يستغفر لك، فلوى رأسه إنكارًا لهذا الرأي ثم قال: لقد أشرتم عليّ بأن أعطي الزكاة زكاة مالي ففعلت، ولم يبق لكم

إلا أن تأمروني بالسجود لمحمد.

يقول (جل وعلا):

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۞ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [المنافقون: ٥، ٦].

إن عبد الله بن أبي بن سلول ياله من منافق، خبيث، كان إذا رأى فتنة نفخ فيها، حتى تكبر يريد بذلك البطش بالإسلام والمسلمين ومن ذلك ما حدث في حادثة الإفك، تلك الحادثة التي اتهمت فيها الحصان الرزان الأم العفيفة الطاهرة، زوج نبينا في الدنيا والآخرة عائشة (رضي الله عنها)، اتهمت في عرضها، وهي قافلة راجعة من غزوة بني المصطلق [البخاري: (٤١٤١) في المغازي، باب: حديث الإفك]، وكان الذي تولى كبر هذه الفتن، ونفخ فيها، حتى زلت أقدام بعض المسلمين فيها عبد الله بن أبي بن سلول ـ قبحه الله ـ ولعنه وأذله.

ولكن الله (تعالى) برأها من فوق سبع سموات، وأنزل فيها قرآنًا يتلى ويتعبد به إلى قيام الساعة، ولعنه الله (عز وجل) في الدنيا والآخرة، إضافة إلى العذاب الذي ينتظره في الآخرة.

قال (تعالى): ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النور: ٢٣، ٢٤].

ثم انظر إلى كرم رسول الله معه؛ ليدل على أن الجزاء من جنس العمل ما يرويه ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في البداية والنهاية:

وفيه أنه لما مات عبد الله بن أبي بن سلول ـ عليه من الله ما يستحقه ـ ألبسه رسول الله (ﷺ) قميصه.

وفي الصحيح أنه إنما ألبسه قميصه، مكافأة له لما كان كسا العباس قميصًا،

حين قدم إلى المدينة، فلم يجدوا قميصًا يصلح له إلا قميص عبد الله بن أبي بن سلول [مسلم: (٢٧٧٤/٣) في صفات المنافقين وأحكامهم].

وهكذا تنتهي حياة هذا المنافق، الذي سخر حياته لمعاداة الإسلام والمسلمين ظاهرًا وباطنًا، وسرعان ما انكشف أمره، وافتضح سره، وبان عيبه، وله في الآخرة النار جزاءً وفاقًا.

يقول رب العزة فيه وفي أمثاله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].



تشتعل النار لتارك الصلاة

يقول رب العزة والجلال (سبحانه): ﴿**مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ**﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣]. ويقول (سبحانه وتعالى): ﴿**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا**﴾ [مريم: ٥٩].

والغي: كما أخرج البخاري في تاريخه عن عائشة (ﷺ) قالت: غيٌّ: نهر في جهنم، وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، والحاكم، وصححه البيهقي عن ابن مسعود في قوله ﴿ **فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غيا**﴾ قال: **الغي**: نهر أو واد في جهنم من قبح، بعيد القعر، خبيث الطعم، يقذف فيه الذين يتبعون الشهوات [الخطب المنبرية للشيخ محمد حسان].

وقال (تعالى): ﴿**فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤، ٥]. فإذا كان هذا هو حال من يؤخر الصلاة عن وقتها، فكيف بمن ترك الصلاة بالكلية؟!! فإن هذه الصلاة يا عبد الله، عماد دين المسلم، وهي ركن من أركانه التي عليها يقوم فعن عبد الله بن عمر بن الخطاب (ﷺ)، قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان** » [البخاري: (٨)، ومسلم: (١٦/١٩، ٢١، ٢٢)].

ويقول الإمام النووي (رحمه الله تعالى): الصلاة لغةً هي في الأصل الدعاء. وهي: أقوال وأفعال مبتدئة بالتكبير ومنتهية بالتسليم.

وقوله (ﷺ): «**بني الإسلام على خمس**» : أي فمن أتى بهذه الخمس، فقد تم إسلامه، كما أن البيت يتم أركانه، كذلك الإسلام يتم أركانه وهي خمس وهذا

البناء معنوي شبه بالحسي، ووجه الشبه: أن البناء الحسي إذا انهدم بعض أركانه لم يتم، فكذلك البناء المعنوي؛ ولهذا قال (ﷺ): «**الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين**» [انظر: «التلخيص الحبير»(١/٣٠٨) رقم (٢٤٣)] « فقد هدم الدين» هذه الزيادة ضعيفة.

وقال النووي أيضا: وقد ضرب الله مثلاً للمؤمنين والمنافقين، فقال (تعالىٰ): ﴿ **أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ [التوبة: ١٠٩]. فشبه بناء المؤمن بالذي وضع بنيانه علىٰ وسط طودٍ، أي جبل راسخٍ، وشبه بناءُ الكافرُ بمن وضع بناء علىٰ جرفٍ هارٍ فغرق، فدخل جهنم.

فاعلم يا عبد الله، أن الصلاة أمرٌ عظيمٌ، وركن من أركان الإسلام الحنيف، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله؛ إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي (ﷺ) فأسند ركبتيه إلىٰ ركبتيه، ووضع كفيه علىٰ فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟ فقال (ﷺ): «**أن تشهد أن لا إله إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ...**» إلىٰ آخر الحديث [مسلم: (١/٨) في الإيمان].

فاعلم عبد الله، أن الصلاة قاعدة أساسية من قواعد الإسلام، وهي من الإيمان، قال النووي (رحمه الله): ولقد غاير الله بين الإيمان والإسلام كما في الحديث، قال الله)تعالىٰ(: ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا** ﴾.

وذلك أن المنافقين كانوا يصلون، ويصومون، ويتصدقون، وبقلوبهم ينكرون، فلما ادعوا الإيمان كذّبهم الله في دعواهم الإيمان؛ لإنكارهم بالقلوب، وصدقهم في دعوىٰ الإسلام لتعاطيهم إياه.

وقال الله (تعالىٰ): ﴿ **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ**

إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [المنافقون: ١]. أي في دعواهم الشهادة بالرسالة مع مخالفة قلوبهم؛ لأن ألسنتهم لم تواطئ قلوبهم، وشرط الشهادة بالرسالة أن يواطئ اللسان القلب، فلما كذبوا في دعواهم الشهادة، بين الله (تعالى) كذبهم، ولما كان الإيمان شرطًا في صحة الإسلام استثنى الله (تعالى) من المؤمنين المسلمين، قال (تعالى): ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ۞ فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]. فهذا استثناء متصل، لما بين الشروط من الاتصال، ولهذا سمى الله (تعالى) الصلاة إيمانًا، قال الله (تعالى): ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال (تعالى): ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ [الشورى: ٥٢]. أي: الصلاة.

وهناك أحاديث جمة للبخاري ومسلم وغيرهما، بينت الفضل العظيم، الذي أعده الله لمن أقام الصلاة فلم تتخلى أيها المسلم عن أداء هذه الفريضة، التي فرضت من فوق سبع سموات دون أي الفرائض، وكانت خمسين، ولكن محمدًا (ﷺ) ظل يسأل ربه التخفيف، حتى بلغت خمس صلوات في اليوم والليلة، ولكنه سمع نداء من قبل السماء يقول له يا محمد إنه لا يبدل القول لدي فهي خمس صلوات في العمل، ولكنها خمسون في الأجر والثواب [البخاري: (٣٤٩) في الصلاة]، كما أن الصلوات يمحو الله بهن الخطايا، كما في صحيح مسلم. عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): « **أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟** قالوا: لا يبقى من درنه شيء، فقال (ﷺ): **فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**» [البخاري: (٥٢٨) في مواقيت الصلاة].

فلماذا لا تغتنم هذا الفضل العظيم أيها المسلم، وتسعى جاهدًا وراء تحقيقه، واعلم يا عبد الله، أن كتاب الله قد توعد أشد الوعيد للتاركين الصلاة».

كما أن السنة المطهرة أشارت إلى هذا الوعيد، يقول (تعالى): ﴿**فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا**﴾[مريم: ٥٩]. في

لسان العرب: الخلفُ من الأخيار قرنًا كان، أو ولدًا، ولا يكون الخلف إلا الأشرار، وذلك الفرَّاءُ ﴿خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ ﴾ [الأعراف: ١٦٩]. قال قرنُ وقال ابن شميل: الخَلَفَ يكون في الخير والشر. ففي هذه الآية: يبين المؤلى (عز وجل) عقاب هؤلاء الذين يضيعون الصلاة، وأقبلوا على شهوات الدنيا وملاذها، ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها، فهؤلاء سيلقون غيًا أي: خسارًا يوم القيامة.

ولقد ذكر المولى (عز وجل) الويل لمن سهى في صلاته، فقال (تعالى): ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥]. فهذا الويل وادٍ في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت في حره، وقيل: هو وادٍ في جهنم، تستغيث جهنم من حره، وهو مسكن من يؤخر الصلاة عن وقتها.

وذكر الحسن البصري: الساهي هو الذي يسهو عن وقت الصلاة، حتى يخرج وقتها، واختلف علماء آخرون وحادوا عن هذا المعنى، ولكن الأظهر القول الأول.

ومن أحاديث رسول الله (ﷺ) الواردة في تكفير تارك الصلاة: قال رسول الله (ﷺ): «**بين الرجل وبين الشرك والكفرترك الصلاة**» [رواه مسلم(٨٢/ ١٣٤)، والترمذي: (٢٦١٨ ـ ٢٦٢٠)، والنسائي: (٤٦٤)].

حديث آخر: حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، وعثمان بن أبي شيبة، كلاهما عن جرير قال يحيى: أخبرنا جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: **بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» [رواه مسلم(٨٢/ ١٣٤)، والترمذي: (٢٦١٨ ـ ٢٦٢٠)، والنسائي: (٤٦٤)].

قال النووي: فمقصود مسلم (رحمه الله تعالى) في هذا الحديث: أن من الأفعال ما تركه يوجب الكفر.

فتارك الصلاة إن كان منكرًا لوجوبها فهو كافر بإجماع المسلمين خارج عن

الملة، وإلا أن يكون قريب عهد بالإسلام، ولم يخالط المسلمين مدة يبلغه فيها وجوب الصلاة عليه، وإن كان تركه تكاسلاً مع اعقاده وجوبها، كما هو حال كثير من الناس، فقد اختلف العلماء فيها:

ـ ذهب مالك والشافعي والجماهير من السلف والخلف: إلى أنه لا يكفر؛ بل يفسق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حدًا كالزاني المحصن، ولكن يقتل بالسيف.

ـ وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزني صاحب الشافعي: أنه لا يكفر ولا يقتل بل يعزر ويحبس حتى يصلي، واحتج من قال بكفره بظاهر الحديث وبالقياس على كلمة التوحيد، واحتج من قال: لا يقتل بحديث: «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا من ثلاث**» [البخاري: (٦٨٧٨) ومسلم: (١٦٧٦/ ٢٥)، وأبو داود: (٤٣٥٢)، والترمذي: (١٤٠٢)، والنسائي: (٤٧٢١)، وابن ماجة: (٢٥٣٤)]، وليس فيه الصلاة.

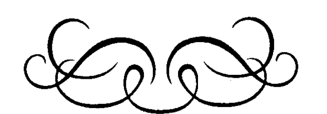
واحتج الجمهور على عدم كفره؛ لقوله (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨]. وبقوله (ﷺ): «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ولا يلقى الله (تعالى) عبد بهما شاك فيحجب عنه الجنة**» [مسلم: (٦/ ٤٣)].

واحتجوا على قتله لقول الله (تعالى): ﴿**فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾ [التوبة: ٥].

وقوله (ﷺ): «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله**»[البخاري: (٢٥)، ومسلم: (٢٢)].

فالمسألة خلافية بين العلماء، فلا تنس يا عبد الله، هذا القسط الرهيب من العذاب الذي أعد لمن جحد الصلاة، أو تركها كسلاً، وأيقظ نفسك، وحاسبها قبل

أن تحاسب، وأيقظ نفسك من السبات العميق الذي يكاد يحيد بك إلى الهلاك، فعد إلى الله يرحمك مالله، وتذكر دائمًا قول الله تعالى: ﴿ **إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا** ﴾ [مريم: ٦٠]. كما لا تنسى أن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر العمل، وإن فسدت فسد سائر العمل، كما ورد في الحديث، وهو عن أنس بن حكيم الضبي قال: خاف من زياد أو ابن زياد، فأتى المدينة، فلقي أبا هريرة قال: فنسبني فانتسبت له،، فقال: يا فتى، ألا أحدثك حديثًا؟ قال: قلت: بلى، رحمك الله قال: يونس وأحسبه ذكره عن النبي (ﷺ) قال: «**أو ما يحاسب عليه الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، قال: يقول ربنا (عز وجل) لملائكته وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كانت انتقص منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم**» [أبو داود: (٨٦٤، ٨٦٥)، والترمذي (٤١٣)، والنسائي: (٤٦٥)، وابن ماجه: (١٤٢٥)، وأحمدك (٢/ ٤٢٥)، وصححه الألباني].



هل تحبط الأعمال بترك الصلاة

يقول ابن القيم (رحمه الله تعالى): أما بتركها بالكلية فإنه لا يقبل مع الشرك عمل، فإن الصلاة عمود الإسلام، كما صح عن النبي (ﷺ)، وسائر الشرائع كالأطناب والأوتاد ونحوها.

وإذا لم يكن للفسطاط عمود لم ينتفع بشئ من أجزائه، فقبول سائر الأعمال موقوف على قبول الصلاة؛ لقوله (ﷺ): «**أو ما يحاسب عليه الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة، فإن صلحت صلح سائر العمل....**» [سبق تخريجه].

وأما عن تركها أحيانًا، فقد روى البخاري في صحيحة من حديث بريدة قال: قال رسول الله (ﷺ): «**بكروا بصلاة العصر، فإن من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**» [البخاري: (٥٩٤)].

ولقد تكلم قومٌ في معنى هذا الحديث، فأتوا بما لا حاصل له.

قال المهلب: معناه من تركها مضيعًا لها متهاونًا بفضل وقتها مع قدرته على أدائها حبط عمله في الصلاة خاصة، أي لا يحصل له أجر المصلي في وقتها، ولا يكون له عمل ترفعه الملائكة، وحاصل هذا القول: أن من تركها فاته أجرها، ولفظ الحديث ومعناه يأبى ذلك، ولا يفيد حبوط عمل قد ثبت وفعل، وهذا حقيقة الحبوط في اللغة والشرع، ولا يقال لمن فاته ثواب عمل من الأعمال؛ أنه قد حبط عمله، وإنما يقال: فاته أجر ذلك العمل، وقالت طائفة: يحبط عمل ذلك اليوم لا جميع عمله، فكأنهم استصعبوا حبوط الأعمال الماضية كلها بترك صلاة واحدة.

والذي يظهر في الحديث ـ والله أعلم بمراد رسوله ـ أن الترك ترك كلي، لا يصليها أبدًا، فهذا يحبط العمل جميعه، وترك معين في يوم فهذا يحبط عمل ذلك اليوم، فالحبوط العام في مقابله الترك العام، **والحبوط المعين في مقابله الترك المعين.**

فإن قيل: كيف تحبط الأعمال بغير الردة؟ بمعنى: هل أعمال المسلم تحبط؟ قيل: نعم، وقد دل القرآن الكريم، والسنة، والمنقول عن الصحابة أن السيئات تحبط الحسنات؛ كما أن الحسنات يذهبن السيئات، قال (تعالى): ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَىٰ**﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال أيضًا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ**﴾ [الحجرات: ٢].

وقالت عائشة لأم زيد بن الأرقم: أخبري زيدًا أنه قد أبطل جهاده مع رسول الله (ﷺ) إلا أن يتوب، وذلك لما باع بالعينة، وقد نص الإمام أحمد على هذا، فقال: ينبغي للعبد في هذا الزمان أن يستدين ويتزوج؛ لئلا ينظر ما لا يحل له فيحبط عمله، وإن قيل: وأي فائدة في تخصيص صلاة العصر بكونها محبطة دون غيرها من الصلوات؟ قيل الحديث لم ينف الحبوط بغير العصر إلا بمفهوم لقب وهو مفهوم ضعيف جدًا، وتخصيص العصر بالذكر لشرفها من بين الصلوات.

فالحبوط نوعان: عام، وخاص.

فحبوط الحسنات كلها بالردة، والسيئات بالتوبة [كتاب الصلاة لابن قيم الجوزية، بتصرف].



تشتعل النار للزاني يوم القيامة بيان تحريم الزنا

قال هشام بن عمار: حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثنا عطاء بن قيس الكلابي، حدثني عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر، أو أبو مالك الأشعري - والله ما كذبني - أنه سمع النبي (ﷺ) يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**» [البخاري: (٥٥٩٠)].

الزنا: هو كل اتصال جنسي قائم على أساس غير شرعي، والمقصود بالحر بكسر الحاء المهملة: (الفرج) أي يستحلون الزنا.

الثاني: أنه لو يسمع منه، فهو لم يستجز الجزم به عنه، وقد صح عنه أنه حدث به، والبخاري (رحمه الله) أبعد لق الله عن التدليس.

الثالث: أنه أدخله في كتابه المسمى بالصحيح محتجًا به، فلولا صحته عنده لما فعل ذلك.

الرابع: أنه علقه بصيغة الجزم، دون صيغة التمريض، فإنه توقف في الحديث أو لم يكن على شرطه يقول: ويروي عن رسول الله، ويذكره؛ فإذا قال: قال رسول الله (ﷺ) فقد جزم وقطع إضافته إليه.

الخامس: أننا لو أضربنا عن هذا كله مثلاً، فالحديث صحيح متصل عند غيره ذكره أبو داود في كتاب اللباس، وذكره ابن ماجه في سننه بصيغة أخرى [إغاثة اللهفان ص ٢٥٥].

ثم نعود إلى حديثنا عن بيان تحريم الزنا، فنقول: إن هؤلاء الناس الذين أشار إليهم رسول الله (ﷺ)، سيأتون فيما بعد فيحلون ما حرم الله من الفواحش، وقد حدث وصدق رسول الله فيما بلغ، **فقد أحل أناسٌ من أمته هذه الفاحشة؛ بل جعلوا عليها حرسًا؛ حتى لا يهاجمهم أحد، وإنا لله وإنا إليه راجعون.**

وقد نسي هؤلاء أن الزنا جريمة من أكبر الكبائر، إن فعلها صاحبها وهو معتقد تحريمها فقد ارتكب كبيرة، وإن فعلها وهو مستحل لها، فقد كفر كفرًا يخرجه من الملة، كما أنه نسي أن الزناه تشتعل وجوههم نارًا، ومن أسفل منهم يوم القيامة.

وعلى العبد أن يتوب إلى الله توبة نصوحًا، وأن يستغفر لئلا يعود إلى مثل هذه الفاحشة، فإن تاب العبد ورجع وجد باب التوبة والغفران مفتوحًا على مصراعيه، قال (ﷺ) فيما يرويه عن رب العزة: «**يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي...**» [أحمد: (٥/ ١٥٤) والحديث إسناده صحيح].



ينقص الإيمان بالمعاصي

عن أبي هريرة: أن النبي (ﷺ) قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**» وزاد في رواية: «**ولا ينتهب نهبةً ذات شرف يرفع الناس إليه أبصارهم فيها حين ينتهبها وهو مؤمن**» [البخاري: (٢٤٧٥)].

وقال (ﷺ): «**إذا زنى العبد خرج منه االإيمان فكان على رأسه كالظلة فإذا أقلع رجع إليه**» [أبو داود: (٤٦٩٠) وصححه الألباني].

فالزنا ليس من شأن المؤمن، فإذا زنى العبد ذهب إيمانه في هذه اللحظة إلا أن يتوب فيعود إليه إيمانه.



عاقبة الزنا

قال الله (تعالىٰ) في سورة القرآن الفرقان: ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: سُئل رسول الله (ﷺ): أيُ الذنب أكبر؟ قال: «**أن تجعل لله ندًا وهو خلقك**. قال: ثم أي؟ قال: **أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**. قال: ثم أي؟. قال: **أن تزاني بحليلة جارك**» قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك ﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]. [البخاري: (٦٨١١)، ومسلم: (٨٦)].

وذكر الإمام أحمد في مسنده أيضًا: حدثنا على بن المديني (رحمه الله تعالىٰ)، حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان، حدثنا محمد بن سعيد الأنصاري، سمعت أبا طيبة الكلاعي، سمعت المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) يقول: قال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: «**ما تقولون في الزنا؟** قالوا: حرمه الله ورسوله، فهو حرام إلىٰ يوم القيامة، فقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: **لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره**» [أحمد: (٦/٧)، والبخاري: (١٠٣)].

فقد بين رسول الله (ﷺ): أن الزنا جريمة من أعظم الذنوب، والكبائر التي تجعل صاحبها يدخل في النار، ويعذب علىٰ قدر المعصية، وليس دائمًا والله أعلم (وذلك إذا كان يعتقد تحريمه) فهو يدخل النار في ذل وحقارة وفي قوله: ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾ **قال السدي (رحمه الله)**: وهو صدوق: أي جزاء، ذكر أن الآثام واد في جهنم (أي عبد الله بن عمر قال ذلك) قال عكرمة ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: أودية في جهنم يعذب فيها الزناة، كذا روي عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وقال قتادة ﴿يَلْقَ

أثامًا﴾: أي نكالاً، كنا نحدث أنه وادٍ في جهنم.

ويقول أيضًا: وقد ذكر أن لقمان قال لولده ثاران: يا بني، إياك والزنا، فإن أوله مخافة، وآخره ندامه، ولكن من ذهب بتفسيرها بأنها جزاء، فهذا هو أظهر وأشبه بظاهر الآية.

وقوله: ﴿يُضَاعَفْ﴾ أي: يزداد ويتكرر.

وقوله: ﴿مُهَانًا﴾ أي: حقيرًا ذليلاً.

روى البخاري في صحيحه عن رسول الله (ﷺ) أنه قال: رأى رسول الله (ﷺ) رؤيا في المنام، وكان معه جبريل: «**أنه أتى على مثل التنور؛ فإذا فيه لغط وأصوات، فاطلعنا فيه؛ فإذا فيه رجال ونساء عراة، وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا، فسئل (ﷺ) جبريل عن هؤلاء؟ فقال له: إنهم الزناة والزواني**»[البخاري: (٧٠٤٧)].

فهذا شأن الزناة والزواني من أمة محمد (ﷺ) أعاذنا الله وإياكم، فكان الجزاء من جنس العمل، فهم استحلوا فروجهم فيما حرم الله، وتجرؤوا على محارم الله، فإنهم يأتون يوم القيامة، وقد علت وجوههم الحسرة والندامة، ويلقى بمثل هذا التنور (الفرن)، فيصرخون ويصيحون من شدة اللهب، وإذا باللهب يأتيهم من حيث كان الزنا.



لماذا حرم الله الزنا؟

للإجابة على هذا السؤال نقول وبالله التوفيق:

لأنه يعمل على اختلاط الأنساب بعضها ببعض، فلا يعرف أبو هذا من يكون، وعم هذا من يكون، وخال هذا من يكون؛ ولذا فإن الله (تعالى) بدل بهذا الزنا العفاف، وأن يكون مسبوقًا برضا المرأة، وذلك بالزواج، لأن النفس البشرية تميل بغرائزها إلى هذا، ولكن الله حرمها إلا بالحق، وهو (الزواج)، ولكن أبى الظالمون إلا أن يخوضوا في المعصية، ويشربوا من كأس العذاب، أبى أصحاب القلوب المريضة أن يدخلوا حظيرة العفاف.

وها هو الإسلام لم يترك من لم يستطع، الإقدام على الزواج لم يتركه فريسة لأهوائه وشهواته ونزواته الباطلة، وإنما حث من لم يستطع بالصوم؛ لأنه جُنَّةٌ ووقايةٌ من تلاعب نزوات النفس، وأغراض الشيطان، ففي الحديث الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله (ﷺ): **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** [البخاري: (١٩٠٥)، ومسلم: (١٤٠٠)].

والباءة: النفقة على الزوجة، ووجاء: أي وقاية.



مداخل الزنا

هذا الزنا الفاحش قد يأتي من الاختلاط، والابتسامات والهمسات، والنظر إلى المحرمات، وغير ذلك مما يقرب إلى الفاحشة، فهذا الدين الحنيف الصالح لكل مكان وزمان حذر قريب الزوج (أخوه، وابن عمه، وابن خالته)، وممن يحلون لزوجته بعد وفاته، أن يدخل واحدٌ منهم في بيته أثناء غيابه، وأن يحاول أن يختلي بها حتى لا تقع الفاحشة، وبيننا حكمٌ في ذلك، ألا وهو حديث رسول الله (ﷺ): «**إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الحمو؟ قال: الحمو الموت**» [البخاري: (٥٢٣٢)، ومسلم: (٢١٧٢/ ٢٠)].

قال النووي (رحمه الله تعالى): المراد في الحديث أقارب الزوج غير آبائه وأبنائه؛ لأنهم محارم للزوجة، ويجوز الخلوة بها، ولا يوصفون بالموت قال: وإنما المراد: الأخ، وابن الأخ، والعم، وابن العم، وابن الأخت، وغيرهم ممن يحل لها التزوج به، لو لم تكن متزوجة، ولكن يا حسرة على العباد، فقد جرت العادة لديهم بالتساهل فيه، فيخلو الأخ بامرأة أخيه، فقد شبهه الرسول الكريم (ﷺ) بالموت، وهو أولى بالمنع من الأجنبي. [فتح الباري: (٩/ ٣٣١)].

وقوله (ﷺ): «الحمو الموت» له عدة معانٍ:

١ ـ أن الخلوة قد تؤدي إلى هلاك الدين إن وقعت المعصية.

٢ ـ أو تؤدي إلى الموت إن وقعت الفاحشة، ووجب حد الرجم.

٣ ـ أو تؤدي إلى هلاك المرأة بفراق زوجها لها، إذا حملته الغيرة على تطليقها.

٤ ـ أو يكون المقصود احذروا الخلوة بالأجنبية، كما تحذرون الموت، أو أن الخلوة مكروهة كالموت.

٥ ـ أو قيل: فليمت الحمو، ولا يخلو بالأجنبية.

●●●

بيان تحريم الخلوة

واعلم أخا الإسلام، أن كل هذا من حرص الشريعة على حفظ بيتك، ومنع معاول التخريب من الوصول إليه، أو التمكن منه فيهلك البيت بمن فيه، وتهتك وصال الأسرة وتفرقة، فماذا تقول بعد بيانه (ﷺ) في هؤلاء الأزواج، الذين يقولون لزوجاتهم: إذا جاء أخي، ولست بموجود، فأدخليه المجلس، أو تقول للذين يتذرعون الثقة، ويسبحون في أجوائها، ويقولون: نحن نثق في زوجاتنا، ونثق في إخواننا، وأبناء أعمامنا وعماتنا، وخلاف ذلك؟

نقول لهم: لا ترفعوا ثقتكم ولا ترتابوا فيمن لا ريبة فيه، ولا ترفعوا هذه الثقة فوق أعناقكم، ولكن اعلموا أن حديثه (ﷺ): «**لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**» [إحد: (٣/ ٤٤٦)، وابن حبان: (٧/ ٥٠، ٥١)، والحافظ ابن حجر في التلخيص (١٨٢٦)، البخاري: (٥٢٣٣)].

فهذا الحديث الشريف أيها المسلم، يا من تأمن في بيتك البر وغير البر، فإن هذا الحديث يشمل أتقى الناس، وأفجرهم، والشريعة لا تستثني من مثل هذه النصوص أحدًا.

عدم الاختلاط ليس معناه قطع الرحم:

ولنذكر أن هذا ليس معناه (قطع الرحم)، فإنما هو بعيد كل البعد عن هذا الفهم الخاطئ.

فيا أيها الأخ الطيب: صل أخاك أثناء وجوده في منزله ولا مانع، حيث لا تخلو مع زوجته؛ لأن ما اجتمع رجل وامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما.

وقد يزعم بعض الذين لا يفهمون الدين من نطاقه الواسع، وجوهره اليانع، أنه يبتسم إلى الفتاة أو المرأة؛ امتثالاً لحديث رسول الله (ﷺ): «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» [الترمذي: (١٩٥٦)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٧٢)]. وأنه ينظر إلى النساء المتبرجات السافرات، لأنه يحب الجمال «**لأن الله جميل يحب الجمال**» [مسلم: (٩١/١٤٧)]. أي بلاهة هذه، التي تحدث ممن يحرفون أحاديث رسول الله (ﷺ) على أهوائهم، نقول لهم: اتقوا الله وإنما قصد بقوله: «**تبسمك في وجه أخيك صدقة**» وذلك بين الرجل وزوجه، وبين المرأة والمرأة، أو الرجل والرجل، حتى لا تكون الوجوه في بؤس وكآبة، ثم أنصح هؤلاء قائلاً لهم: اتقوا الله، ولا تؤولوا الدين على أهوائكم، فالابتسامة إلى الأجنبية غير جائزة.

●●●

كيف تتقي الزنا

وذلك بعدم الاختلاط، وعدم الابتسامات واللمسات والهمسات، وتجنب خطوات الشيطان التي نهانا عنها الله في قوله: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**﴾ [البقرة: ١٦٨]. فكل الذي ذكرت من خطوات الشيطان، فيجب على المسلم أن يتجنبها: غض البصر، وكف اللسان عن الكلام فيما حرم الرحمن، وعدم بطش اليد، وعدم كثرة الخطا بالرجل إلى أماكن حرمها الله، وكف الأذن عن سماع ما يحيي شهوات الإنسان فكل هذا علاج الجوارح من زناها.

يقول رسول الله (ﷺ): «**زنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، وزنا الأذن الاستماع، والنفس تتمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك و يكذبه**» [البخاري:

(٦٦١٢)، ومسلم(٢٦٥٧/ ٢٠)].

فإن علاج العين من الزنا غضها عما حرم الله النظر إليه، لقول الله (تعالى): ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم** ﴾ [النور: ٣٠]. وليس الغض قاصرًا على المؤمنين فقط، بل على المؤمنات أيضًا؛ لقوله (تعالى): ﴿ **قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن** ﴾ [النور: ٣١]. ولقوله (عليه الصلاة والسلام) لعليّ (رضي الله عنه): «**يا عليّ لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الأخرى**» [أبو داود (٢١٤٨)، والترمذي: (٢٧٧٧) وقال: «حسن غريب» وصححه الألباني].

وسئل رسول الله (ﷺ) عن نظرت الفجأة؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «**أن يصرف الإنسان بصره عنها**» [أبو داود: (٢١٤٨) وقال: «حسن صحيح» وصححه الألباني].

فاعلم عبد الله أن انصراف بصرك عنها حماية لعينيك من الزنا.

●●●

وقاية الإنسان نفسه

بأن تصون اللسان عن الكلام المثير للشهوات، وألا تخضع المرأة في القول مع الرجال، فيطمع الذي في قلبه مرض؛ لقوله (تعالى): ﴿ **فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض** ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. فعلى كل مسلم ومسلمة أن يرطبا لسانهما بذكر الله، حتى يطمئن قلبهما، ويخشع لذكر الله فلا يمرض ﴿ **ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ [الرعد: ٢٨].

وعلاج اليد من الزنا، ألا تبطش، ولا تمس النساء، نهى رسول الله (ﷺ) عن لمس الأجنبية، قال (ﷺ): «**لأن يطعن أحدكم بمخيط حديد في رأسه خير له من أن يمس يد امرأة لا تحل له**» [السلسلة الصحيحة للألباني: (٢٢٦)].

ووقاية زنا الرِّجْل، بتجنب خطاها إلى أماكن اللهو المحرم، والأماكن الغير مرغوب فيها، كالسينما، والفيديوهات، التي تبرز على شاشاتها الخلائع والنساء

الماجنات، المتبرجات الكاسيات، العاريات، السافرات، االساقطات، هذه الأجهزة التي تقرب إلى الفاحشة؛ بما فيها من رجس وفسق، وتظهر أيضًا المخنثين من النساء والرجال على غير خلق، ووقاية الرجل من الوقوع في الزنا تكمن في الابتعاد عن تلك الأماكن، والإكثار من الذهاب إلى أماكن يذكر فيها اسم الله، كالمساجد، وحلق الذكر، التي تحفها ملائكة الرحمن.

ووقاية كزنا الأذن: يكون بعدم سماعها الأغاني، التي تتحدث عن القبلة، ووصف الخدود والقدود، والحب، والهوى، وغير ذلك من مفسدات القول وميوعة اللفظ، وقد ذكر ابن القيم (رحمه الله تعالى) في كتابه: (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان): أن الأغاني الخليعة تسبب الزنا، وقال (رحمه الله): وأن الغناء رقية الزنا واللواط، ولكن كيف نقي الأذن الزنا؟

بأن تستمع إلى كتاب الله، هذا النور الذي أنعم الله به على المسلمين، الشافي لما في الصدور فهو خير دواء لكل عليل وأجل شفيع.

●●●

حد الزنا:

يتحقق الزنا الموجب للحد بتغييب الحشفة (رأس الذكر)، أو قدرها من مقطوعها في فرج محرم، مشتهي بالطبع من غير شبة نكاح، ولو لم يكن معه إنزال.

فإن كان الاستمتاع بالمرأة الأجنبية فيما دون الفرج، فإن ذلك لا يوجب الحد، وإن اقتضى التعزير، فعن ابن مسعود قال: جاء رجل إلى النبي (ﷺ)فقال: «إني عالجت امرأة من أقصى المدينة، فأصبت منها دون أن أمسها فأنا هذا، فأقم عليّ ما شئت. فقال عمر: سترك الله لو سترت نفسك، فلم يرد النبي (ﷺ) شيئًا، فانطلق الرجل، فأتبعه النبي (ﷺ) رجلاً فدعاه فتلا عليه: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود:

١١٤] فقال له رجل من القوم: يا رسول الله، أله خاصة أم للناس عامة!» [البخاري: (٥٢٦)].

يقول السيد سابق (رحمه الله): إما أن يكون بكرًا، أو محصنًا، والبكر (غير المتزوج): اتفق العلماء على أن البكر الحر إذا زنى، فإنه يجلد مائة جلدة، سواء في ذلك الرجال والنساء؛ لقوله (تعالى) في سورة النور: ﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [النور: ٢].

في هذا نهي عن تعطيل الحدود وقيل: هو نهي عن تخفيف الضرب بحيث لا يحصل وجع معتد به .

وقيل: يجب حضور ثلاثة فأكثر ، وقيل: أربعة بعد شهود الزنى، وقال أبو حنيفة: الإمام والشهود إن ثبت الحد.

قلت: والهدف من وجود طائفة من المؤمنين ليشهدوا ويعتبروا.

والفقهاء وإن اتفقوا على وجوب الجلد، فإنهم قد اختلفوا في إضافة التغريب إليه:

قال الشافعي وأحمد: يجمع إلى الجلد التغريب مدة عام لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة وزيد بن خالد أن رجلاً من الأعراب أتى رسول الله (ﷺ) فقال: يا رسول الله أنشدك بالله إلا قضيت لي بكتاب الله، وقال الخصم الآخر وهو أفقه منه نعم، فاقض بيننا بكتاب الله، وائذن لي، فقال رسول الله (ﷺ): «**قل**. قال: إن ابني هذا كان عسيفًا، أي أجيرًا على هذا، فزنى بامرأته، وإني أخبرت أن على ابني الرجم، فافتديت منه بمائة شاة ووليدة، فسألت أهل العلم، فأخبروني أن على ابني جلد مائة وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال رسول الله (ﷺ): «**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله الوليدة والغنم ردٌ عليك وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام ـ واغد يا أنيس (رجل من أسلم) إلى امرأة هذا**

فإن اعترفت فارجمها، قال فغدا عليها، فاعترفت فأمر بها رسول الله (ﷺ) فرجمت» [البخاري: (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم: (١٦٩٧، ١٦٩٨/ ٢٥)].

وروى البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، أن رسول الله (ﷺ) قضى فيمن زنى ولم يحصن بنفي عام وإقامة الحد عليه [البخاري: (٦٨٣٣)].

وأخرج مسلم عن عبادة بن الصامت: أن رسول الله (ﷺ) قال: «**خذوا عني... خذوا عني... قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم**» [مسلم: (١٦٩٠/ ١٢)].

وقد أخذ بالتغريب الخلفاء الراشدون، ولم ينكره أحد، فالصديق (رضي الله عنه) غرب إلى فدك، والفاروق عمر (رضي الله عنه) غرب إلى الشام، وعثمان (رضي الله عنه) غرب إلى مصر، وعليّ (رضي الله عنه) غرب إلى البصرة.

والشافعية يرون أن لا ترتيب بين الجلد والتغريب، فيقدم ما شاء منها، واشترط في التغريب أن يكون إلى مسافة تقصر فيها الصلاة؛ لأن المقصود به البعد عن وطنه وأهله، وما دون مسافة القصر في حكم الحضر، فإن رأى الحاكم تغريبه إلى أكثر من ذلك فعل، وإذا غربت المرأة فإنها لا تغرب إلا بمحرم أو زوج، فلو لم يخرج إلا بأجرة لزمت وتكون من مالها.

قال مالك والأوزاعي: يجب تغريب البكر الحر الزاني، دون المرأة البكر الحرة الزانية، فإنها لا تغرب؛ لأن المرأة عورة.

وقال أبو حنيفة (رحمه الله تعالى): لا يضم إلى الجلد التغريب إلا أن يرى الحاكم ذلك مصلحة، فيغربها على قدر ما يرى.

حد المحصن (المتزوج):

اتفق الفقهاء على وجوب رجمه [الرجم: الرمي بالحجارة، وهو الحجار الضخام، وكل رجم في القرآن الكريم معناه: القتل] حتى يموت رجلاً كان أو امرأة، واستدلوا بحديث أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله (ﷺ) وهو في

المسجد، فناداه، فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه فردد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات دعاه النبي (ﷺ).

فقال: «**أبك جنون؟** قال: لا، قال: **فهل أحصنت؟** قال نعم فقال: عليه الصلاة والسلام: **اذهبوا فارجموه**».

قال ابن شهاب فأخبرني من سمع جابر بن عبد الله قال: كنت فيمن رجمه، فرجمناه بالمصلى فلما أزلقته الحجارة هرب فأدركناه بالحرة فرجمناه.

والجواب هنا بنعم يثبت الإقرار [البخاري: (٦٨١٥)، ومسلم: (١٦٩١/١٦)].

حديث آخر:

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: خطب عمر (رضي الله عنه) فقال: إن الله (تعالى) بعث محمدًا (ﷺ) بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها ورجم رسول الله (ﷺ) ورجمنا، وإني خشيت إن طال الزمان أن يقول قائل: ما نجد الرجم في كتاب الله، فيضلون بترك فريضة أنزلها الله (تعالى) فالرجم حق على من زنا من الرجال والنساء، إن كان محصنًا إذا قامت البينة، أو كان الحمل أو الاعتراف، وايم الله لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبتها [البخاري: (٦٨٣٠)، ومسلم: (١٦٩١/١٥)].

وفي نيل الأوتار: أما الرجم فهو مجمع عليه وحكي في البحر عن الخوارج أنه غير واجب، وكذلك حكاه عنهم ابن العربي، ولا مستند لهم، إلا أنه لم يذكر في القرآن؛ وهذا باطل، فإنه ثبت بالسنة المتواترة، وأيضًا ثبت بنص القرآن الكريم لحديث عمر عند الجماعة: أنه كان مما أنزل على رسول الله (ﷺ) آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ورجمنا بعده، واعلموا أن نسخ التلاوة لا يستلزم نسخ الحكم، وكما أخرج أبو داود من حديث ابن عباس، وأخرج أحمد والطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة بن سهل عن خالته العجماء أن فيما أنزل

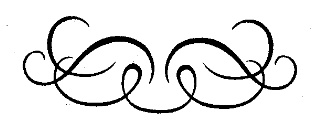
الله من القرآن «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة بما قضيا من اللذة» [الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٥٠)، (٨٦٧) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٦٨) «رجاله رجال الثقات» وأخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث أبي بن كعب بلفظ (كانت سورة الأحزاب توازي سورة البقرة وكان فيها آية (الشيخ والشيخة) [ابن حبان: (٤٤١١) في الإحسان].

فاعلم أخا الإسلام، أن هذا هو العذاب المقرر في الدنيا على هؤلاء الزناة، فما بالك بمن لم يتب وترك نفسه فريسة لهذا، فإن عذابه في الآخرة أكبر وأعظم إن لم تتداركه رحمة ربي.

واعلم أيضًا: أن الإسلام وضع لك التوبة والإنابة فقال (جل وعلا): ﴿**إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠]. فشرط قبول التوبة تصديقها بفعل العمل الصالح والله أعلم، ولا تيأس من رحمة الله، إنه لا ييأس من رحمته إلا القوم الكافرون، وها أنت مسلم يقول (تعالى): ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

أما من استحل هذه الجريمة لنفسة رغم تحريم الله لها، ونهى رسول الله (ﷺ) عنها، فقد دخل في دائرة الكفر، والخروج من الملة والعياذ بالله؛ لأن تحليل شيء حرمه الله عن عمد ، وإرادة وإدراك يُعد ذلك كفرًا، ولكن أبى الظالمون إلا كفورًا، فراحوا يخصصون أماكن لهذه الفاحشة، ويجعلون عليها من يحرسها وليس لمعترض أن يعترض، وإلا نال جزاء اعتراضه.

نسأل الله العلي الأعلى أن يطهر قلوبنا، وأن يحصن فروجنا.



تشتعل النار للمتكبرين يوم القيامة تحريم الكبر

الكبر: هو بطر الحق، وغمط الناس (أي إنكار الحق واحتقار الناس).

قال الله (تعالى): ﴿ **تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [القصص: ٨٣]. وقال (تعالى): ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان: ١٨].

يخبر الله (تعالى) أن الدار الآخرة، ونعيمها المقيم، الذي لا يحول ولا يزول، جعله لعباده المؤمنين، المتواضعين، الذين لا يرون علوا، ولا يريدونه في الأرض، والعلو: الترفع على خلق الله، والتعاظم عليهم، والتجبر بهم، والإفساد فيهم، وذكر عكرمة: أن العلو في الأرض التجبر، وقال سعيد: العلو البغي: وقال ابن جريج: ﴿ **لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ** ﴾ أي تعاظمًا وتجبرًا، ﴿ **وَلا فَسَادًا** ﴾ عملاً بالمعاصي. وإذا كان الإنسان يرتدي ملابس، أو نعلاً جديدًا، وهذا محمول على ما إذا أراد بذلك الفخر والتطاول على غيره، فإن ذلك مذموم. قال (ﷺ): «**إنه أوحى إليّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد**» [مسلم: (٢٨٦٥/ ٦٤)، وأبو داود: (٤٨٩٥)، وابن ماجه: (٤١٧٩)]، ولكنه إذا أحب ذلك من أجل التأمل والتجمل فلا بأس به، جاء رجل إلى رسول الله (ﷺ): قال لرسول الله: «يا رسول الله، إني أحب أن يكون ردائي حسنًا، ونعلي حسنًا، أفمن الكبر ذلك؟ قال: **لا، وإن الله جميل يحب الجمال**» []، ولقد أشار القرآن الكريم إلى نظافة الثوب: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ** ﴾ [الأعراف: ٣١]، وقال أيضًا: ﴿ **قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ**

الآيَات لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فلا مانع إذا كان الثوب والنعل من أجل التجمل دون الكبر والإعجاب والخيلاء، فهذا حرام.

وقوله: ﴿ **وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا** ﴾ [لقمان: ١٨]. فالمرح هنا المقصود به التبختر وقوله: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [لقمان: ١٨]. قال ابن جرير: الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها، حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها، فهذه إحدى وصايا لقمان الحكيم، التي أوصى بها ولده (ثاران)، فقال له: لا تعرض وجهك عن الناس إذا كلمتهم. أو كلموك، احتقارًا منك لهم، واستكبارًا عليهم، ولكن ألن لهم وجهك، وأبسطه لهم.

وقال ابن عباس في تفسيرها: ﴿**لا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ يقول: لا تتكبر فتحتقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.

وقوله: ﴿**لا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا**﴾ أي خيلاء، جبارًا، متكبرًا، عنيدًا، ولهذا قال: ﴿﴾**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٌ** ﴾ مختال: معجب بنفسه، فخور: أي على غيره.

وقال الإمام مسلم (رحمه الله تعالى): عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة قالا: قال رسول الله (ﷺ): «يقول الله تعالى: «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته**» ، وفي رواية ابن ماجه: «يقول الله سبحانه (وتعالى): **الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدًا منهما ألقيته في جهنم** » [ابن ماجه: (٤١٧٥)، وأحمد: (٢/٢٤٨)، أحمد شاكر في تحقيقه في المسند (٧٣٧٦): «إسناده صحيح»]، وفي رواية الحاكم من حديث أبي هريرة عن النبي (ﷺ) فيما يحكى عن رب العزة (جل وعلا): «**الكبرياء ردائي، فمن نازعني ردائي قصمته**» [الحاكم: (١/٦١) وقال: «حديث صحيح على شرط مسلم»].

فالكبرياء صفة لله وحده، ولا ينبغي لعبدٍ ما أن تكون له إلا وكانت النار

أولى به.

قال النووي (رحمه الله تعالى): قوله (ﷺ): «**العز إزاره، والكبرياء رداؤه فمن ينازعني ذلك أعذبه**» معنى ينازعني: أي يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد مصرح في الكبر بتحريمه، وأما تسميته إزارًا ورداء، فمجاز، واستعارة حسنة، كما تقول العرب: فلان شعاره الزهد، ودثاره التقوى، لا يريدون الثوب الذي هو شعار أو دثار؛ بل معناه صفته، كذا قال المازدي، ومعنى الاستعارة هنا: أن الإزار والرداء يلصقان بالإنسان، ويضلزمانه، وهما جمال له، وقال: فضرب ذلك مثلاً؛ لكون العز والكبرياء بالله (تعالى) أحق، وله ألزم.

مداخل التكبر:

أولا العلم: وما أسرع الكبر إلى بعض العلماء، فلا يلبث أن يستشعر في نفسه كمال العلم فيستعظم نفسه، ويحتقر الناس.

ثانيا: الكبر بالحسب والنسب: فالذي له نسب شريف يحتقر من ليس له ذلك، وإن كان أرفع منه علمًا وعملاً، وقد روي أن أبا ذر قاول رجلاً عند النبي (ﷺ) فعيره بأمه، فغضب (ﷺ) وقال ولأبي ذر: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية: هم إخوانكم**» [البخاري: (٣١)].

ثالثا: التكبر بالمال: وذلك يجري بين الغني والفقير، وكما حدث في قصة قارون عليه لعنة الله المتتالية.

واعلم أخا المسلم، أن الشخص الذي يدعوا إلى التكبر، فإن دل ذلك على شئ، فإنما يدل على نقصٍ في شخصيته، يحاول أن يستكملها بذلك الكبر؛ إذا فعلينا بالتواضع كما أوصانا ال معصوم (ﷺ) قال: «**إنه أوحي إليّ أن تواضعوا، حتى لا يفخر منكم أحد على أحد**» [سبق تخريجه].

عاقبة المتكبرين

قال الله (تعالى): ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ * قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ * فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ ﴾ [القصص: ٧٦ - ٨١].

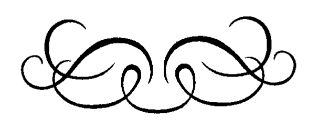
قال أكثر أهل العلم: إن قارون كان من قوم موسى؛ ولكنه لكثرة ماله بغى عليهم، ولقد آتاه الله من الأموال ﴿مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ﴾: أي ليثقل حملها الفئام من الناس؛ لكثرتها، ولقد نصحه قومه ووعظوه: ألا تبطر بما أنت فيه من المال، ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾، وهم المرحين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما آتاهم، ونصحوه أن يستعمل ما آتاه الله من المال في طاعة الله، وأن يتقرب إلى الله ﴿وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي مما أباح الله من المأكل، والمشرب، والملبس، والمناكح، فإن لربك عليك حق، ولنفسك عليك حق، ولأهلك عليك حق، فآت كل ذي حق حقه، ولكنه بعد كل هذه النصائح أبى على نفسه إلا الكبر والترفع على الناس؛ لأنه لم يستجب لقومه، بل كان يزداد تكبراً وتعظيمًا على قومه، فخرج على قومه ذات يوم في زينة عظيمة، فلما رأوه من يريدون الحياة الدنيا وزينتها، تمنوا أن يكون لهم مثله، ولكن الذين عندهم العلم النافع قالوا لهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾: أي جزاؤه لعباده المؤمنين الصالحين في الآخرة خيرٌ مما ترون؛ لقوله في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت**

ولا خطر على قلب بشر» واقرأوا إن شئتم: ﴿ **فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧] [البخاري: (٤٧٧٩)، ومسلم: (٢٨٢٥/٥)، وأحمد: (٢/٤٣٨)].

ولكن يا عبد الله، إ ن هذا حال الطغاة المتكبرين في كل زمان خسف الله به وبداره الأرض؛ لما كان له من التجبر والتكبر والخيلاء، وهذا عقابه في الدنيا، وفي الآخرة أشد وساء سبيلاً، وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنةً قال: «**إن الله جميل يحب الجمال**»الكبر: بطر الحق وغمط الناس أي احتقارهم. [رواه مسلم]

فهذا الكبر ليس من شأن المؤمن، وإنما من شأنه التواضع لله، وخفض الجناح للمؤمنين، وعدم احتقارهم، فالذي يفخر على الناس بثوبه، ويتكبر على الناس بقوله وفعله، ألا فليعلم أن الله (تعالى) لا ينظر إلى الصور، وإنما ينظر إلى القلوب وما فيها قال (ﷺ): «**إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» [رواه مسلم من حديث أبي هريرة: (٢٥٦٤/٣٣)].

وقوله: «**إن الله جميل يحب الجمال**» فليس ذلك من الكبر؛ لأن المرء لا يقصد بذلك الكبر والتفاخر، وإنما يريد الإنسان أن يحسن صورته عند الله. والله أعلم.



من يتكبر لا ينظر الله إليه يوم القيامة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: «**لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جرّ إزاره بطرًا**» [البخاري: (٥٨٣)، ومسلم: (٢٠٨٥/٤٢)].

وعنه (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذابٌ أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل**[العائل: الفقير] **متكبر**» [مسلم: (١٠٧/ ١٧٢)].

- من يتكبر الله يخسف به الأرض:

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**بينما رجل يمشي في حلة**[الحلة: الثوب له ظهارة وبطانة]، **تعجبه نفسه، مرجل** [مرجل رأسه: ممشطه] **رأسه، يختال في مشيته؛ إذ خسف الله به فهو يتجلجل** [يتجلجل: الجيمين: أي يغوص وينزل] **في الأرض إلى يوم القيامة**» [البخاري: (٥٧٨٩)].

- من يتكبر يصبه ما أصاب الجبارين:

وعن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**لا يزال الرجل يذهب بنفسه، حتى يكتب في الجبارين، فيصيبه ما أصابهم**» [الترمذي: (٢٠٠٠) وقال: «حسن غريب» وضعفه الألباني].

- من يتكبر يناله بعض من عقاب الله في الدنيا:

عن سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه): أن رجلاً أكل عند رسول الله (ﷺ) بشماله فقال: «**كل بيمينك**. قال: لا أستطيع. قال: **لا استطعت**» ما منعه إلا الكبر قال: «فما رفعها إلى فيه» [مسلم: (٢٠٢١/١٠٧)، وأحمد: (٤/ ٤٥)].

ـ المتكبر من أهل النار:

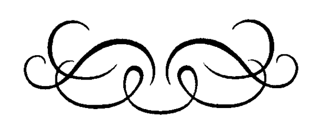
عن حارثة بن وهب (رضي الله عنه) قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ** [الجواظ: قيل: الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين] **مستكبر**» [البخاري: (٦٦٥٧)، ومسلم: (٢٨٥٣/٤٦)].

وعن أبي سعيد (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**احتجت الجنة والنار، فقالت النار: فيّ الجبارون والمتكبرون... الحديث**» [مسلم: (٢٨٤٦/ ٣٤)].

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي(ﷺ): «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم؟ قال الله (تعالى) للجنة: أنت رحمة أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار، أنت عذاب أعذب بك من أشاء من عبادي...**» [البخاري: (٤٨٥٠)، ومسلم: (٢٨٤٦/ ٣٥)].

وقال (تعالى): ﴿**وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ**﴾ [الزمر: ٦٠].

فما عليك أخي المسلم بعد ما علمت ما أعده الله (تعالى) للمتكبر في الآخرة من عذاب أليم في نار جهنم ـ إلا أن تتوب إلى الله ـ وترجع ـ عليك: أن تتجنب الكبر، وخذ العبرة من قصص الأولين، الذين ظلموا أنفسهم، وما كان الله ليظلمهم، واعلم أنك مهما علوت في الأرض، فأنت ضعيف الإرادة، مخلوق لا حول له ولا قوة، خلقت من نطفة من مني يمنى، فلا تكن جباراً، ولا تجرع كأس الكبر، وأنت تعلم حقيقة نفسك.



تشتعل النار لمن قتل مؤمنًا متعمدًا

قالى (تعالى) : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[النساء :٩٣].

قال ابن كثير رحمه الله (تعالى) : وهذا تهديد شديد، ووعيد كبير لمن تعاطى هذا الذنب العظيم، الذي هو مقرون بالشرك في غير ما آية في كتاب الله، حيث يقول سبحانه في سورة الفرقان :﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ﴾ [الفرقان: ٦٨] والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدًا، فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال : قال رسول الله (ﷺ) : «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة الدماء**» [البخاري:(٦٨٦٤)، ومسلم: (١٦٧٨/٢٨)]. وحديث آخر: «**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**» [الترمذي:(١٣٩٥)، وابن ماجه: (٢٦١٩)].

وحديث معاوية (ﷺ): «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرًا، أو الرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**» [الترمذي:(١٣٩٥)].

ويقول ابن كثير (رحمه الله تعالى): والمحفوظ حديث معاوية بعدما ذكر رواية أخرى عن أم الدرداء تقول (ﷺ) سمعت أبو الدرداء (ﷺ) يقول سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**كل ذنب عسى أن يغفره إلا من مات مشركًا أو من قتل مؤمنًا متعمدًا**» رواه ابن مردويه وقال ابن كثير هذا حديث غريب جدًا فكأنه يرجح الرواية الأولى التي ذكرها عن معاوية (ﷺ) [أبو داود: (٤٢٧٠)، والنسائي: (٣٩٨٤)، وأحمد: (٩٩/٤)، وصححه الألباني].

وروى ابن جرير (رحمه الله تعالى): عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف

الإسلام، وشرائع الإسـلام، ثم قتل مؤمنًا متـعمدًا، فجـزاؤه جهنم، ولا توبة له، فذكرت ذلك لمجاهد، فقال إلا من ندم.

وروي الإمام أحمد: عن ابن عباس (ﷺ): أن رجلاً أتى إليه فقال: أرأيت رجلاً قتل رجلاً عمدًا؟ فقال: جزاؤه جهنم خالدًا فيها) قال: لقد نزلت من أخر ما نزل مـا نسخهـا شئ، حتى قـبض رسول (ﷺ)، ومـا نزل وحي بعـد رسول الله (ﷺ) قـال: أرأيت إن تاب، وآمن وعـمل صـالحًـا، ثم اهتـدى؟ قـال: وأنى له بالتوبة، وقد سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: «**ثكلته أمه رجل قتل رجـلاً متعمدًا، يجئ يوم القيامة آخذًا قاتله بيمينه أو بيساره، وآخذًا رأسه بيمينه أو بشماله، تشخب أوداجه دمًـا من قـبل العرش، يقـول: يارب، سل عبـدك فيم قـتلني**» [أحـمـد: (١/ ٢٤٠)، وقـال الشـيخ أحمـد شـاكـر في تحقـيـقـه المسند (٢١٤٢): «إسناده صحيح»].

وممن ذهب إلى أنه لا توبة له من السلف: زيد بن ثابت، وأبو هريرة ، وعبد الله بن عمـر، وأبو سلمة بن عبـد الرحمن، وعبـيد بن عمـير، والحسن، وقـتادة والضحاك بن مزاحم نقله أبو حاتم. قاله ابن كثير في التفسير.

لكن عكر على هذا الرأي: أن الله (تعالى) يغفر الذنوب عدا الشرك، والقتل دون الشرك، قال (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦]. فرجا للقاتل التـائب المغفرة، والخلود في الآية في قوله (تعالى): ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا**﴾ [النساء: ٩٣]. المقصود به: المكث الطويل، كما قال ابن كثير.

وقال أيضًا (رحـمه الله): والذي عليه الجمهور من سلف الأمـة وخلفها: أن القـاتل له توبة فيـما بينـه وبين الله (عز وجل)، فـإن تاب وأناب وخشع وخـضع وعمل صالحًا، بدل الله سيئاته حـسنات، وعوض المقتول من ظلامته، وأرضاه عن طلابته قال الله (تعالى): ﴿**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ**

اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان: ٦٨]. إلى قوله: ﴿**إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً**﴾ [الفرقان: ٧٠]. وهذا خبر لا يجوز نسخه وحمله على المشركين، وحمل هذه الآية على المؤمنين خلاف الظاهر، ويحتاج حمله إلى دليل والله أعلم. وقال (تعالى): ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ**﴾ [الزمر: ٥٣]. وهذا عام في جميع الذنوب ما عدا الشرك، وهي مذكورة في هذه السور الكريمة بعد هذه الآية وقبلها لتقوية الرجاء والله أعلم.

وقال أيضًا (رحمه الله تعالى): وقد تواترت الأحاديث: «**أنه يخرج من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان**» أما حديث معاوية: «**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا لرجل يموت كافرًا أو لرجل يقتل مؤمنًا متعمدًا**»، فعسى هنا للترجي، فإذا انتفى الترجي في هاتين الصورتين، لا ينتفي وقوع ذلك في أحدهما، وهو القتل لما ذكرنا، ومن الأدلة، وأما من مات كافرًا، فالنص أن الله لا يغفر له البتة، وأما مطالبة المقتول القاتل يوم القيامة فإنه حق من حقوق الآدميين، وهي لا تسقط بالتوبة ولكن لا بد من ردها إليهم ولا فرق بين المقتول والمسروق منه، فإن الإجماع منعقد على أنه لا تسقط بالتوبة ولكنه لابد من ردها إليهم في صحة التوبة، فإن تعذر ذلك، فلا بد من المطالبة يوم القيامة، لكن لا يلزم من وقوع المطالبة وقوع المجازاة إذ قد يكون للقاتل أعمال صالحة تصرف إلى المقتول أو بعضها، ثم يفضل له أجر يدخل به الجنة، أو يعوض الله المقتول بما يشاء من فضله من قصور الجنة ونعيمها ورفع درجته فيها، ونحو ذلك، والله اعلم.

ثم لقاتل العمد أحكام في الدنيا،

وأحكام في الأخرة وأما في الدنيا فتسلط أولياء المقتول عليه، قال (تعالى) : ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا** ﴾ [الإسراء :٣٣]، ثم هم مخيرون بين أن يقتلوا، أو يعفو، أو يأخذوا.

ولقد أرانا الله (تعالى) بأسه في الحجاج بن يوسف الثقفي، هذا الذي كان

يسرف في الدماء بغير حساب ويبطش بالأبرياء والأتقياء.

يقول عمـر بن عبد العزيز : لو تخابثت الأمم، فـجاءت كل أمة بخبيـثها، وجئنا بالحجاج لغلبناهـم، قالت له أسماء بنت أبي بكر(رضي الله عنه) ولما دخل عليهـا بعد قتل عبد الله بن الزبير ابنهـا: أما آن لهذا الراكب أن ينزل، وقال المنافق: قالت: لا والله ما كان منافقًا، وقد كان صوامًا قوامًا قال اذهبي فإنك عجوز قد خرفت.

قالت: لا والله مـا خرفت، سمعت رسـول الله (ﷺ) يقول: «**يخـرج في ثقـيف كذاب، ومـبيـر**» فأما الكذاب فـقد رأيناه، وأما المبير فـأنت هو، المبير هو المفسد.

وعن هشـام بن حسان: أحـصوا مـا قتل الحـجاج صـبرًا، فبلغ مـائة ألف وعشرين ألفًا كان عثمانيًا أمويًا يميل إليهم ميلاً عظيمًا، ويرى أن خلافهم كفر.

وأعظم ما فعله الحجاج: هو قتل سعيد بن جبير، فقد قال الإمام أحمد: قتل سعيد بن جبير، وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه.

قال ابن كثير (رحمه الله تعالى): قـال الحجاج (لسعيد): لأقتلنك قال: إني إذا لسعيد كـما سمتني أمي قال: فقتله، فلم يلبث الحـجاج بعده إلا أربعين يومًا، وكان إذا نام رآه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه، ويقول:

يا عدو الله، فـيم قتلتني؛ فيـقول الحجـاج: مالي وسعيـد بن جبيـر، مالي وسعيد بن جبير.

فالحـجاج هذا الجـبار العـنيد قـتل ابن حواري رسـول الله (ﷺ)، وحفـيد الصديق، وسعيد بن جبير فكيف به بعدما فعل هذا؟

لما مات الحجاج سجد الحسن البـصري شكرًا لله، وقال: اللهم أمته، فأذهب عنا سنته، ولما أخـبر إبراهيم النخعي بموته بكى من الفرح، وأنشـأت جارية له عند موته تقول:

اليـوم يرحـمنا من كـان يبـغضنا
واليـوم يأمننا من كـان يخشـانا

ورأى الحسن البصري الحجاج في منامه، فقال له: أنت الحجاج؟ قال: أنا الحجاج، قال: ماذا فعل الله بك؟ قال: قتلت بكل قتيل قتلته.

لقد كان جبارًا ظلومًا ناصبيًا خبيثًا سفاكًا للدماء، وقد حاصر ابن الزبير في الكعبة، ورماها بالمنجنيق، وأذل أهل الحرمين، وأخر الصلوات إلى أن استأصله الله، فنحن جميعًا نسبه ولا نحبه بل نبغضه في الله.

●●●

كيف يتوب القاتل المتعمد

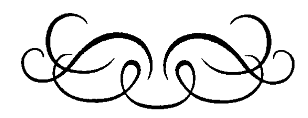
القاتل المتعمد عليه ثلاثة حقوق:

حق لله، وحق للقتيل، وحق للورثة.

فحق الله لا يقضى إلا بالتوبة.

وحق الورثة أن يسلم نفسه إليهم ليأخذوا حقهم، إما بالقصاص أو بالدية أو العفو.

ويبقى حق القتيل الذي لا يمكن الوفاء به في الدنيا، وهنا قال أهل العلم: إذا حسنت توبة القاتل، فإن الله يرفع عنه حق القتيل ويعوض القتيل يوم القيامة خيرًا من عنده (عز وجل) وهذا أحسن الأقوال [مدارج السالكين (١/ ٢٢٩)].



تشتعل النار لمن قتل نفسه عامدًا متعمدًا

قال (تعالى): ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا * وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

ما يؤخذ من الآية:

حرمة قتل المسلم نفسه، أو غيره من المسلمين، لأنهم أمة واحدة، وهذا الوعيد الشديد لقاتل النفس عدوانًا وظلمًا بإصلاء النار فإذا قلنا: إن المقصود بالآية قتل الإنسان نفسه.

فعلى هذا يتبين لك أيها المسلم، أن نفسك ليست ملكًا لك تتصرف فيها كيفما تشاء، فأنت مطالب بالمحافظة عليها، وعدم تعريضها لكل ما من شأنه أن يكون سببًا في إهلاكها، واعلم أنك ستسأل يوم القيامة عن جسمك فيم أفنيته ولم أفنيته؟

واعلم أن قتل النفس كبيرة من الكبائر تصير صاحبها إلى النار.

واعلم أن من قتل نفسه بشئ في الدنيا عذب به في نار جهنم في الآخرة.

ففي الصحيحين: من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال: «**من تردى من جبل، فقتل نفسه، فهو في نار جهنم في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**».

وروى البخاري ومسلم: من حديث جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله

(ﷺ): «**كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكينًا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات قال الله: بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة**» [البخاري: (٥٧٧٨)، ومسلم: (١٠٩/ ١٧٥)].

وروى من طريق أبي قلابة، عن ثابت بن الضحاك (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله(ﷺ): «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**» [البخاري: (٣٤٦٣)، ومسلم: (١١٣/ ١٨١)].



تشتعل النار لمن يعذبون الناس في الدنيا بغير حق

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر، يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مميلات مائلات، رؤوسهن كأسمنة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا** »[مسلم (١٨٢٨)]

وعن خالد بن الوليد (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة أشدهم عذابًا للناس في الدنيا**»[صحيح الجامع للألباني (١٠٠٩)]

وعن هشام بن حكيم بن حزام : أنه مر بالشام على أناس من الأنباط، وقد أقيموا في الشمس، وصب على رؤوسهم الزيت، فقال : ما هذا ؟ قيل : يعذبون في الخراج، وفي رواية : حبسوا في الجزية، فقال هشام : أشهد لسمعت رسول الله (ﷺ) يقول : «**إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا** »، فدخل على الأمير فحدثه فأمر بهم فخلوا [مسلم:(٢٦١٣/١١٨)]

قال النووي رحمه الله : الأنباط : الفلاحون من العجم.

يعذبون في الخراج : أي من أجله وبسببه، والخراج : الضريبة الموضوعة على ما يخرج من الأرض.

فخلوا : تركوا من العذاب.

ما يؤخذ من الأحاديث :

١ ـ الوعيد الشديد لمن عذب الناس بغير حق.

٢ ـ النهي عن تعذيب الضعفاء والمساكين بغير حق.

٣ ـ ترهيب وتحذير الظالمين من الظلم.

تشتعل النار للمتبرجات يوم القيامة

التبرج لغة : هو إبداء المرأة زينتها، وإظهار وجهها ومحاسن صدرها للرجال، وكل ما تستدعى به شهوتهم حتى التكسر والتبختر في مشيتها، ما لم يكن ذلك للزوج.

التبرج شرعًا : هو إظهار ما حرم الله إظهاره، هو إظهار الزينة أو إبراز المرأة لمحاسنها، وقيل هو التبختر والتكسر في المشية وقيل : هو عمل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو في أعين الأجانب، حتى القناع الذي تستتر به المرأة إن انتخب من الألوان البارقة، والشكل الجذاب لكي تلذ به أعين الناظرين، فهو من مظاهر الجاهلية أيضًا [انظر كتاب: (نساء أهل النار) للدكتور مصطفى مراد، عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر مع بعض تعليقات للمؤلف].

والتبرج من الطرق الموصلة إلى النار، وللأسف الشديد، فلقد انتشر التبرج في هذه الأيام أيما انتشار، حتى صارت المرأة التي لا تتبرج يشيرون عليها بالبنان، ويقولون عنها : إنها فلاحة متخلفة رجعية.

إن الشيطان زين لهم سوء أعمالهم، وقلب في أعينهم الحقائق، حتى ظنوا الأبيض أسود، والشر خيرًا والحنظل حلوًا.

ومن صور التبرج : أن تلبس المرأة ملابس خفيفة تشف ما تحتها، أو تلبس ملابس ضيقة تصف جسمها، أو تلبس بنطالاً يظهر مفاتنها، وتكشف شعرها، أو تلبس ملابس قصيرة وعارية، يبدو منها الذراعين، والفخذين، والساقين، والركبتين، والثديين.

عيوب التبرج وخطره:

١- التبرج معصية لله ورسوله (ﷺ).

٢- التبرج كبيرة موبقة.

٣- التبرج من صفات أهل النار.

٤- التبرج فاحشة.

٥- التبرج تهتك وفضيحة.

٦- التبرج سنة إبليسية.

٧- التبرج من سنن اليهود والنصارى.

٨- ضعف الأمة مرض التبرج أحد أعراضه.

٩- التبرج جاهلية خبيثة.

١٠- التبرج حيوانية وتخلف وانحطاط.

١١- التبرج باب شر مستطير.

المتبرجات في النار:

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[مسلم (٢١٢٨)]

قال النووي رحمه الله(تعالى) قيل «كاسيات»: أي من نعمة الله. «عاريات»: من شكرها وقيل: معناه: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه، إظهارًا لجمالها ونحوه.

وقيل: تلبس ثوبًا رقيقًا يصف لون بدنها، وهو المختار، ومعنى «مائلات»:

عن طاعة الله، وما يلزمهن حفظه «مميلات»: أي يعلمن غيرهن فعل المذموم، قيل يمشين متبخترات، مميلات كتافهن، قيل: مائلات يمتشطن المشطة

الميلاء، وهي مشطة البغايا، ومميلات: يمشطن غيرهن تلك المشطة، ومعنى رؤوسهن «كأسنمة البخت»: أي يكبرنها ويعظمنها بلف عمامة أو نحوها والله أعلم [المجموع للنووي (٤/٣٠٧)].

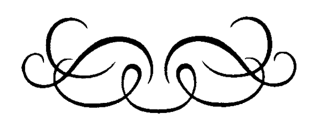
ما يؤخذ من الحديث:

التبرج كبيرة توجب النار.

ذم التبرج والمتبرجات، والنهي عن التبرج.

فعلى المتبرجة: أن تتوب إلى الله، وأن تلتزم بالزي الإسلامي، ولا تكن مقلدة لموضات الغرب الكافرة والشرق الملحد، وباب التوبة مفتوح على مصراعيه لكل تائب آيب.

فهيا أيتها الأخت المسلمة، أقبلي على الله، واعلمي أن الله غفور رحيم ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦].



الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله، وبعد:

فبهذا القدر أكون قد انتهيت بفضل الله ومعونته من كتابي **(لمن تشتعل النار؟)** ولم أستوعب فيه كل من تشتعل لهم النار، حتى لا أطيل على القارئ، وأسبب له بعض الملل، وإنما اكتفيت بذكر بعضهم، لعل في ذكر بعضهم العبرة والعظة، لمن أراد أن يتعظ، وقد تحدثت في هذا الكتاب عن فريق سيخلد في النار، ولا خلاف في ذلك كالمشركين، والكفار واليهود والمنافقين والمتكبرين.

وتحدثت فيه أيضًا: عن فريق آخر ممن يرتكبون الكبائر العظيمة، كالزنا، وترك الصلاة، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، والانتحار والتبرج، وتعذيب الناس بغير حق، فكل ذلك من الكبائر، التي توجب لأصحابها النار، إن لم يغفرها الله لهم، ويتوبوا منها، ويطلبوا ممن آذوه الصفح والعفو؛ فإذا لم يتم ذلك استحقوا النار، ولا أقول بتخليدهم في النار؛ لأن هذه الذنوب، وإن كانت عظيمة إلا أنها دون الشرك، فالله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء (سبحانه)، وقد يغفر الله ذنوب قوم أذنبوا من غير توبة منهم كما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**قال رجل: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله (عز وجل): من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان إني قد غفرت له وأحبطت عملك**» [مسلم: (٢٦٢١/١٣٧)].

فالله (سبحانه وتعالى) يفعل ما يشاء وقتما يريد، لا يُسئل (سبحانه) عما يفعل، ولله في خلقه شؤون، وهو (سبحانه وتعالى) واسع الرحمة والمغفرة، فهيا أقبل على الله أيها العاصي، وأحسن الظن بالله ودع عنك ما قد فات في زمن الصبا، وابك ذنوبك، وابكها يا مذنب.

وحتى تعلم أن (رحمة الله) قريبة، أنقل إليك هذا الكلام الطيب الذي ذكره صديق حسن خان (رحمه الله تعالى) في كتاب يقظة أولى الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار ويقول (رحمه الله تعالى):

فيما يرجى من (رحمة الله تعالى) ومغفرته، وعفوه يوم القيامة:

قال (تعالى): ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ١١٦]. وقال (سبحانه): ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن نعم الله (تعالى) على عباده أن وصف نفسه الكريمة بالرحمة العامة والمغفرة الشاملة: ﴿**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ**﴾ [الإسراء: ١١٠].

ووصف رسوله محمدًا خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وشفيع المذنبين بقوله في كتابه الكريم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فوقعت أمته المرحومة بين رحمتين كريمتين، والرحيم إذا قدر رحم، والكريم إذا غلب غفر.

فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول (ﷺ): «**لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**» [صحيح الجامع للألباني: (٥٠٩٠)].

وعنه أن النبي (ﷺ) قال: «**جعل الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءًا واحدًا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» [صحيح الجامع للألباني: (٣٠٩٠)].

وعن عثمان (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «**من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة**» [سبق تخريجه].

اللهم إنك تعلم أنا نعلم أنه لا إله إلا أنت، وأنا نشهد أن محمدًا (ﷺ) رسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وقد قال رسولك فيما رواه عنه عُبادة من شهد بذلك أدخله الله الجنة على ما كان من العمل.

هذا وبالله التوفيق فما كان من توفيق فمن الله وحده، وما كان من خطأ أو سهو أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء.

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على النبي محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرا.

●●●



أهم المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- تفسير ابن كثير
- تفسير القرطبي
- تفسير ابن جرير
- في ظلال القرآن
- صحيح البخاري
- صحيح مسلم
- سنن أبي داود
- الجامع الصحيح (الترمذي)
- سنن النسائي
- سنن ابن ماجه
- مسند الإمام أحمد
- التلخيص الحبير ابن حجر
- إرواء الغليل للألباني
- السلسة الصحيحة والضعيفة للألباني
- صحيح وضعيف السنن للألباني
- صحيح الجامع للألباني

ـ المجموع للنووي

ـ مدارك السالكين

ـ إغاثة اللهفان

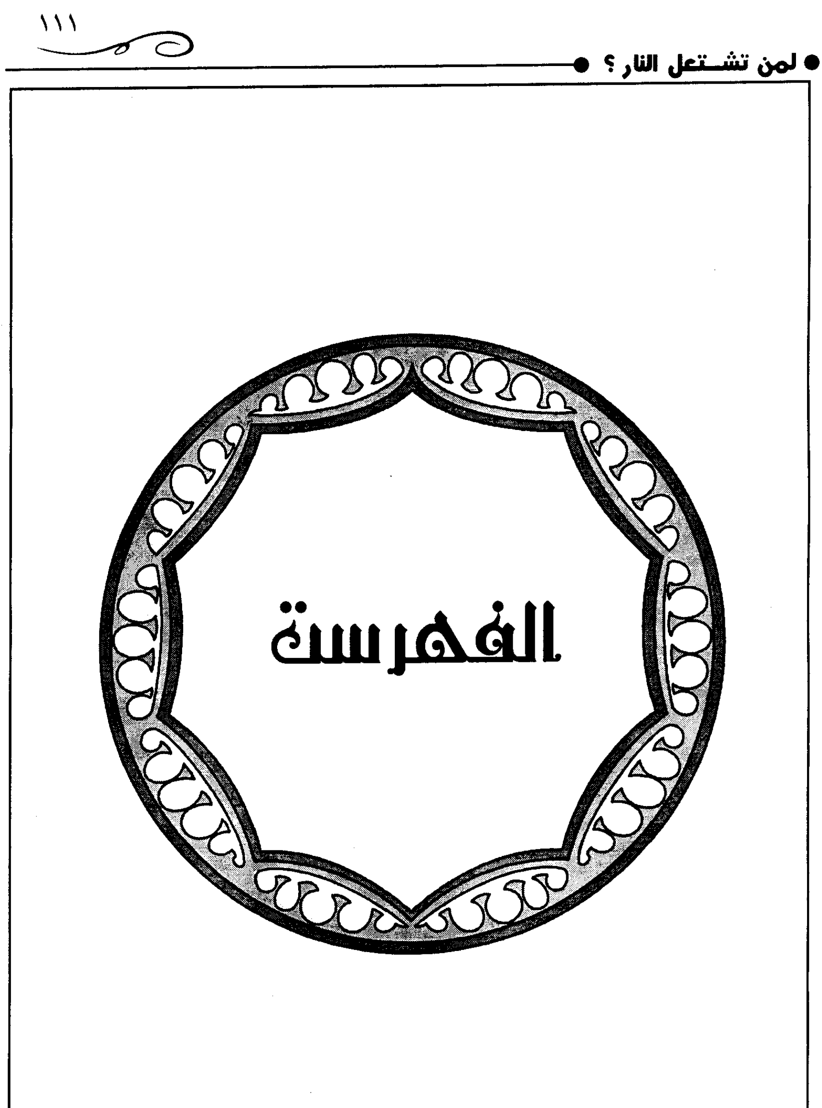
ـ البداية والنهاية

ـ نساء أهل النار د/ مصطفى مراد

ـ ١٠٠ قصة من نهاية الظالمين

●●●




الفهرست